
الجوكر العربي
السعيد عبدالغني

الجوكر العربي

السعيد عبدالغني

إلى هدلا الطرابلسي

أنا الجوكر العربي

الذي أَمرضه العالم بالحقيقة الصافية

فلم يبتذل وجوده

وثار في داخله وخارجه على القوافي.

اجرحوا حجابي

لأرى ذاتي في الكلمة والمرآة

أنا جوكر كل شارع

وألم كل حزين.

الجوكر الذي بلا ندوب ولا مكياج

الخالد في زوايا الشوارع.

قلبي لا يمارس الكراهية

حتى لو كان من حقه ذلك

ولكني في النهاية لا أعرف ماذا سأفعل بنفسي!

نبوتي في الحزن

حتى عيني تلمع عند رؤية الشوارد والطرائد والمجانين

أعطيهم السجائر ونجلس لنخلق قصة لدودة على الحائط

انتفخت وصارت عالما.

لا أعلم هل أنا مجنون

أم أن غزو المجهول لروحي كان كاملا؟

لا أعرف هل أنا عاقلا

أم أن خوفي من العالم رتبني أمام عيون الناس؟

لي نعوت كثيرة ولي حقيقة واحدة

وجذري الأعمق في المجاز

وغصني الأعمق في اللانهاية.

لم يكن غيابي خيانة

لوعدي بالتعاشق حتى في الزوال

ولكنه العالم الذي أغمض قلبي

وعذّب بصيرتي بالعدم الأخير.

أصبح الحضور يزود وحدتي

ويستلبني من رعايتي لحسي

أنا المهرطق المنبوذ

صرختي لا ثمن لها

ورمادي رخيص.

اخرجي ليليث

اخرج إبليس

اخرجي يا أفاعي

روحي الرثة إدامكم للثورة الحزينة.

الفردوس مكان الخراب الملون

للواهمين المزيفين على عتبات المعنى

أما قلبي في مقامات الفوضى الخبيثة

وخلاصي في الأرض الخراب.

نطقت بالحقيقة

لأسطِل هويتي

ويطردني العالم ويطاردني،

لم أنعكس لمتن

بل لحلم الدراويش

وسِرت في الدرب لا لأَسُود بل لأمهِد الصلصال للتشكل

وأمايز بين المتخيلات أيهم يصلح لمستقبل الدلالة؟

المشكاة الحقيقية دوما مطموسة

وأوراد نورها للخفاء

بعد التضاؤل أمام العالم

كعارف أمام ربه.

لم يكفر قلبي من أفعال قليلة للعالم

الذي يتكاثر دوما بضدي

لم يكفر عن عبث

بضمير مجتمعي الأخلاقي،

الآن أنا مع ألمي وحيدين

نتغازل بتفاوت الكثافة للتعبير،

الآن عدم سابح فيّ وفي دربي

يتضخم وأنا سائر على الارض

ويتقلص وأنا سائر على بيض المجاز الخائخ.

جنس ملعون الشعراء

نمص العذاب من المعنى

وننفخه في اللغة وفي وحدتنا والعالم

كأفاعي شيخة في غابات بعيدة.

تعريت

حتى من مكياجي الأخضر

وجلود الهويات

وطفت في حضرتي الجدبة من الناس فوق المكان

الطائرة في الألوان

طائفة فيها شخوصي الدراويش على نبر انعكاسات النور في شفرات السماوات

ودية حزنهم ما شهدوه من المعنى

مؤولين من العالمين بلا مسؤولية جمالية

شاطحين

كافرين

مجانين

فأؤولوهم بما تريدون

هم خارج ضفة الكلام

خارج لعنكم

خارج عقلكم.

الكراهة في نسبوية الحسي

رؤية البحر في كأس النبيذ

والمهبل معلق على سماوات الوردة

في لعنة المضطرب بسريالية الدفق

وثنائي القطب الموثق لاصوات بعيدة في الذات

والاختزال في دلالة مسممة ومصممة من تشكيلات العالم السلطوي.

كيف أخرج من الخارج

ومن الهامش

ومن الضفاف الشجيرية في أفق الأفق

سياحتي في الدروب البعيدة

كلفتني عقلي المجنس بالأبعاد

وأملي خلى من يأس الطمث للدمار

أدحرج أنبوبة غازية في الشوارع

كأني أدحرج مملكة الهباء

وحضارات نقدها الزمن القاسي رغم أنثوية آلهتها

وأقضم في النهايات أعصاب العالم وأشرب نخاعه الشوكي المر.

كل شيء يثير في الشعر

كل حياتي أقدمها للمعنى

كدين لا يُوفى على نشوة الكتابة.

أُشرِك في رأسي كل العالم

وأشاهد هذه السينما الشاعرية

أنا مُخرِج رأسي الأول

ومُخرِج الآن الدفاق

ومخرج الدقائق الأولى من عمر المعنى.

تركت كل شيء

وخرجت من كل الأبواب

نحو لامعلوم وحشي.

أنا الغريب دوما طريد نفسي أولا

أبحث عن كلأ معنائي لا يوجد في العالم.

طريد وحدة الوجود فيّ وغربته

لأني تجلِي كل شيء.

طريد ضآلة اللغة وضخامتها

الضآلة عندما تكتمل مخالبي

والضخامة عندما أتيه.

الغريب يبحث من لدن العيون عن بيته

ويختبر جفاف الدفء في الناس حوله.

نضجت غربتي يا إلهي

نضجت الممرات للعدم

ورمان الغيب فسد في آخر العرفان.

والظهور الأكبر في المرآة لي خلب الدمار.

اكتفيت يا إلهي بذاتي عن الصحبة

وبالنغم والصمت عن الونس

وبالخمر عن أناي

والوحدة عن العالم.

نظرت إلى النافذة

والرياح تهز الستارة ببطء

فارغ القوى

همدان المعاني.

قلبي متخثر في الشجن

تدافعت الأفكار واحدة تلو الأخرى بلا علاقة بينهما.

ذاتي قابلة لكل تشكيل ذات أخرى

مباحة فيها كل التابوهات الإنسانية.

كيف تكونت هكذا مجرما داخليا؟

أهو ألم الفكر العميق الذي أفنى الثنائية؟

أم أنه هوى غريزي حيواني لا أستطيع ردعه لوهني؟

انجذبت في تأمل كل شيء حتى عميت بصيرتي

والكتابة أضعها المحطة المتحركة نحوي ونحو الله.

كيف تخلو كتابتي من الله

وهو هوس الشاعر المطلق

والشاعر اللانهائية المحتاجة له فقط؟

يستغرب الناس من هوسي به

وهوية هوسي من الشعر

لا من إرادة الخلاص الدينية أو الخوف.

كيف تعامله كصديق؟

وأنا دوما أعتقد أن لا شيء لا يمكن مُناداته

مهما هجر وخفي واختفى.

عدت للانزواء على السرير

أتمدد على ملاءة العتمة

ولا يكفلني شيئا سوى نشوة وحيدة في قلبي بالموسيقى.

الشارع خنع للصوت الكريه للكلاب

وما رمته الازال فيه من الوحي

وأنا أفكر في قتلي!

المتن

ورقة الجوكر من الكوتشينة مرمية على منضدة قديمة في مقهى.

أنا بهذا المكياج للجوكر أسير في القرية ،في البداية كانت الناس مستغربة رغم أنهم يعرفون هويتي الحقيقية بينما الغريبين عن القرية يستغربوا جدا من ذلك ويخافوا.كنت أريد أخفي وجهي الذي كنت أستكرهه،لا لنبذ بل لمحاولة التخفي وراء بعض المواد المزينة التي بلا قيمة.

هل كان عليّ التمرد في وجود نوع هذا الآخر الأصولي؟هل كان عليّ أن أتمرد كل هذا التمرد وأفقد وجودي في الرفض؟أسئلة الليل البغيضة وطلق المعاني والدلالات بالرِدة على كل ما فعلته.

كان المؤذن يرفع آذان الفجر بصوته البغيض فيما كنت أعد سطر الهيروين وأنهي إعداده وألف سيجارة محشوة بالحشيش كذلك كعُدة على الذهاب للمطلق الغريب.شممت الهيروين وكانت معي عاهرة كلزوم الارتفاع إلى المالانهاية.فبعد النشوة بالجنس دوما كنت أشم الهيروين لاكمال العالم الحركي النشِط الوحيد في حياتي.أُصبح الطائر الكبير في سماوات المتَخيّل والموهوم.

مشيت نحو مصدر الموسيقى وأنا عاميا،رفعت أصابعي في الهواء لتتنعم برنات خلاسية رغم أني لا اعرف كيف أعزف.الارتقاء من الكهف وصيادة العوالم في الآفاق المكتنَزة فيها النبوات فالآفاق للحزانى ،من ملكيتهم ،نظرت لها بألفة أكثر من النظر لذاتي في المرآة وفتحت تلك الحدود للانفجار،وانفجرت لعمران ذهاني.

أستهلك ذاتي أكثر ومللت من مصارعة ما لا أعرف من العالم،أفقد كل يوم شغف قديم في العالم وموازنة عقلي بالسائد

والمعلوم.غرقت في مدن المتَخيّل ،في متنها وإثرها المقبّحَين من العوام. هل هو هراء شواء العالم في قصيدة متَبّلة بالزوال؟

إنى أبصر في ذاتي أبعاد وأنا أدمر ذاتي بالكتابة لا أبصرها في أي شيء أفعله،فالصلة مع المجاز صلة أهلية للهوية المنتَجة من الرفض،سند يتزود من الفوضى لا متن مصمَت.

نزلت من غرفتي حزينا،من هذه الصومعة المحكمة،متجها إلى كشك السجائر ،شعري طويل جدا وفوضوي وعيناي تحتهما تعب السهاد والسهر والأرق ،يداي ترتعش من كثرة الأدوية النفسية،وهناك مستغلقات كثيرة تحتاج أن أفتحها أو أحاول كعبء يومي للتأمل.قابلت امرأة لا اتذكر جيدا هل كانت تعطيني درسا في الصغر أم لا؟ ،تنظر لي باستغراب واستعجاب واندهاش،ربما من بوهيميتي وربما من عدم تراثية ذلك في عائلتي المهندَمة.لا أعرف هل هي تنظر كذلك لشبهة إلحادي أم لشكلي!.لم أعرها انتباها لكنها تركت في داخلي غصة أليمة ،وكانت هذه هي الغصة الأولى في اليوم.مشيت أجر بقدمي لشدة الألم النفسي والضيق المستمر من استمرار مفعولات كثيرة للآخر في كوني،كوني الذي كنت اظن انه قيومي كامل لكنه ليس مستقلا تماما.اخترقت خوض الشاعر والأطفال ماوراء بيوت كثيرة حتى وصلت لكشك السجائر.

كنت أفكر لقد تلغزت لدرجة قصوى وتهت في لاأدرية مطلقة ،في إنكاريات بليغة،وتخليت عن دوري الواقعي الإيقاعي

وناجيت الحلاج وتذكرته فقلت في نفسي "العالم يا حلاج للتافهين ولنا التراب المَهين البرىء المقدس ،فنادِي يا خمَار الصلبان والصالبين،المنوط بهم الحوي لم يحووا لذلك بحثت في مضاجع العاهرات عن الدفء وفي مضاجع الكتب عن الإكسير ولكنها مليئة بآلام أخرى."

أدين كل شيء على وحدتي وأدين بالخصوص المجانين الداخليين،المنظومين المرتبين خارجيا لأنهم لم يحضنوا جوهرهم.

والعالم مع ذلك يشرئب للحزانى الوحيدين ،في ملكوتاتهم الجديدة الغريبة ،ولا يدري معنى أن تكون وحيدا.لعبة التأويلات الجمة هنا ونظريات التلقي للذات بالنسبة للآخر،للقوقعة بالنسبة للبحر.معنى أن تكون وحيدا برأسي هو أن تكون تائقا يبحث عن متُوقَه المجهول الغائب،منادِي يبحث عن ندائه ومنادَاه،هو أن تسري في الأعالي والبطون لكل شيء بالبداهة وإن كظمت إسرائك غاب نفيك عنك واغتربت.والوحشة تلك التي أشعر بها رمز على تلاقى بشاعة الجوهر الداخلي مع الخارجي،تلاقي مستديم في عيان كامل البهاء ،لذلك أقول لنفسي عش في وحدتك ولا تنم إلا في حيز وحدة أخرى أو سكر!.

الدفء والصقيع

(1)

حزينا وغير مطمئن.خرجت من البيت لأني لم أدفأ به إلى الشوارع،أبحث عن دفء في صحبة، في موقف ،في كادر، يخذل هذا الحزن الجواني.ويطعمني بجماليات أخرى غير الجماليات النظرية ولذة العقل والتفكر.

كنت ألعب كرة قدم من الصغر وكانت تسعدني جدا هذه الهالة من الدفء والعرق ولكني تركتها بعد التدخين وتعقد الرؤى جميعها،والتتفيه من كل شيء فهي مجرد بالونة مملوءة بالهواء يجري وراءها الكثير.عرفت الكثير من الأصدقاء منها وكانت المنفذ الوحيد كون عائلتي صارمة في التعرف مع الناس خوفا عليّ فهذه طريقتهم الركيكة في الحماية ومداواة خوفهم.كنا نلعب قبل موعد المدرسة في أرض تركها أهلها للرياح والمطر ونختبيء عند قدوم أحد الأساتذة في المدرسة ،في القش المجاور للملعب غير المجهَز.فقد كنت ألعب في أي مكان فارغ أو على سطح البيت حتى مع أولاد عمومتي وبعد المدرسة وقبل وبعد الدروس.كنا نقلق مضاجع الناس بخبطات الكرة وكنت أشترى باستمرار الكرات التي قطعها أصحاب البيوت بجوار الملعب عندما ترتطم ببيوتهم.الحياة كانت بسيطة وجميلة ومغوية حتى توفى والدي منذ سنوات .علاقتي به كانت غريبة رغم أنه كان يشع دفءا وحنانا كبيرا.إلا أنه كان يسافر باستمرار،في كل عودة له للبيت كان عيدا للبيت كله،يأتي بالشوكولاته واللب بأنواعه.أحلم كثيرا بعودته تلك كأنه مخلِص ما،مخلِص من الروتين واليومي إلى الاغوائي والإعجازي الشعوري.

لا أعرف لم هذا الحنين الرهيب الآن؟لم في ذلك الوقت من الانتكاسة؟هل يكشف الألم شعورنا الحقيقي نحو الأشخاص؟أحلم بأبي كل يوم تقريبا، كأثر للحنين ولا أعلم هل سأتخلص من هذا الطفل المختبىء المسؤول عن أعمق المشاعر أم لا؟

أدخن بشراهة ،ما يقارب علبتين في اليوم وبالرغم من ذلك أريد العودة لممارسة الرياضة،أشعر بعود إليها في مخيلتي،المواقف القليلة النادرة التي كنت فيها راضيا عن كل شيء.كان التأمل في الأشياء صافي وبلا كآبة.ذهبت مثل الأطفال لشراء كرة قدم من الدكاكين،وكلما أذهب إلى دكان يضحك البائع عندما أقول له إني أريد شراء كرة قدم ولكني لم أكن أعر بالا كثيرا للناس.شاهدت على الإنترنت بعض التمارين التي تخص كرة القدم ومهاراتها،وحاولت على سطح البيت تنفيذها أو استعادة قدمي للعب مرة أخرى.سطح البيت مكان فارغ خاوي إلا من بعض قطع الطوب التي كان يُبنى بها والنوافذ مفتوحة،يراقبني البعض كوني أكملت الخامسة والعشرون ولازلت ألعب كرة القدم مثل ذي قبل عندما كنت صغيرا،ولكني لم أعد صغيرا مثل قبل فالظاهر يهتم به الناس وينتبهوا لمخالفته ،من الصورة التي لدى الجيران عنيّ،يجب أن أهتم بالعلم وبالأدب لا باللعب كون عائلتي كلها متفوقة دراسيا.

أخذ التاب الالكتروني معي وموبايلي وأصعد إلى السطح وهو الدور الخامس من بيتنا المشتَرَك مع عائلتي لأنفذ ما أراه بعد ممارسة بعض التمارين الاستعدادية الإحمائية.أريد العودة بكليّ إلى ما كانت حياتي عليه وكنت سعيدا بها.الاشتراك في مجموع وفي الجمع فالاغتراب كان قاسيا بشكل رهيب والشعور به كان طاغيا.سأذهب بعد أيام إلى الملعب،بعد أن أستعيد جزءا من مهارتي ومن قدرتي على المراوغة والركل..إلخ.

أعمل قليلا ،ولكن العمل لا يوفر لي حاجياتي جميعها،لذلك كنت أعتمد على إعالة ميراث أمى وإعالة ميراث أبي ومرتبي من المدرسة التي لم أكن أذهب إلا نادرا وفُصلت في النهاية.وكان ذلك يجعل أمي تتحكم أحيانا في بعض المواقف في السابق في حياتي رغم طيبتها.لم أكن أُعِر إلى المال قيمة،كنت أعتبره ورقا بلا أي قيمة بتاتا ولكني كلما كبرت عرفت أني يجب أن أُعِر إلى قيم العالم قيمة،كون كل شيء أصبح يُسَعر بما فيها الأشياء الروحية.فلكي تحصل على كتاب ضد سيطرة المال عليك أن تشتريه أولا !

أعرق كثيرا بالتمارين كون جسدي زاد وزنه ولكني كنت أحلم في رأسي لا أن أكون أديبا كبيرا بل لاعب كرة قدم،هذا هو الحلم المفضل لي منذ الطفولة والذي ابتعدت عنه مدة طويلة،أن أسوق هذه البالونة إلى الثقب الكبير في نهاية الملعب.ورغم ذلك كانت لدي مشاعر مختلطة كون أني لا أريد أن يتذكرني الناس بأي شيء.

كانت مباراة مهمة ذهبت لأراها مع ابن عمة أبي،الرجل المسن الجميل الذي كنت أحبه كثيرا كونه تلقائيا ومشعا بالحب والألفة بعد أن ذهبت إلى ملعب القرية الصغير نوعا ما والفقير ترتيبه لكنه كان يُسمَح باللعب فيه.كنت أفكر وأنا ذاهب إلى الملعب أني شطحت كثيرا عن واقعي وابتعدت عنه بشكل كبير وحتى حلمي أصبح بعيدا وتفكيري أصبح مخالفا لما يتم التَفكُر فيه.لم أحافظ على هذه الشعرة التي تربطني به حتى بل تقوقعت في غرفة صغيرة أخرج منها كل مدة لما يمكن أن يُغذِي الدخول لها ثانية.والنبوة التي كنت أظن أني أحملها هي في عقلي فقط،في التفكير المجرد واستخدام اللغة ولكني كرهت هذه النبوة كثيرا وأردت النبوة الواقعية أو القليل منها.ذهبت للملعب بعد العصر،كنت أول من

يصل من اللاعبين الكبار،جلست أشاهد الأطفال الصغيرة التي تلعب وتسب وتسابق وتعرق ولكنها سعيدة جدا بما تفعل وأدخلني ذلك في زوبعة من التفكير أني أريد أن أكون مثاليا في كل شيء،أن أحقق كل شيء رغم أني محدود واقعيا بأشياء كثيرة خارجة عني ومنيّ،منها جسدي ومنها عمري ومنها قدرتي على فعل الأشياء.

يجلس بجواري أحد الصغار الذي يبدو أنه تم تغييره بأحد ما آخر فكلما مسك الكرة هذا الآخر يقول "لا يعرف يلعب"ووجهه أحمر ومعرَق.أردت الاستعانة بالكتابة لتشجيعي على اللعب كون لا أحد يهتم بوجداني ولا يغذيه سوى صديقة واحدة هى ما أشاركها بعض مما يعتريني ولا أشاركها كل شيء خيفة أن تؤَذى نفسيا فالرهافة تمنعنى من إيذاء أحد غيري.

تذكرت ما حكيته لها "أني خرجت من المقهي يوم العيد أبكي في الشارع كوني رأيت أولاد صاحب المقهى الطيب حوله،يغنجهم ويضحكون معه"تذكرت أبي حينها وهربي كان لشدة الألم والحنين لذلك الطيف الغائب الذي لم يسمح لي القدر أن أحيا معه.ربما ذلك الفقد كون لي صوفية وجدانية وحدسية وجعلني أكتب بعض الشعر الصوفي الذي لم أكن أعرف أني أكتبه وأمتلىء بمعاني الغياب وبالتوق للغائبين بالكل أو بالنأي المكاني "

لا تعذبني ببقائي

خلصني من ألمي ولو بفنائي

فقلبي الذي صقلته وعبدك

ينتهي الآن من عشقه الضاري.

*

لم أناجي سوى قلبك يا إلهي

وكانت النجوم تتلألأ منه

فرحة بنغم ندائي

أنا الوليد الضال عن دفئك

الهاجر البعيد عن أرضك

الباحث عن كلك في خلقك

المبحِر في وحدته ووحدتك.

سدى كل ما أشعر به غيرك

سدى العالم الهمدان من نأيك."

لعبت الكرة وجريت ونهجت وانقطع نفسي وواصلت اللعب،ركلت الكرة كثيرا رغم ارتعاشة قدمي ربما من الدواء النفسي وربما من عدم اللعب لمدة طويلة،فأتذكر أني لم ألعب منذ ما يقارب سنتين ولم أجري حتى أو أبذل أي مجهود عنيف،كان الطقس غائما وأمطرت قليلا في بداية اللعب فكنت أحث الباقين باللعب سريعا قبل أن تمطر كثيرا،تم تقسيم الفرق ولعبت مع صديقي الذي كنت أحبه كثيرا لاختلافه النفسي وطيبته ورجولته عن باقي الناس في الملعب.كان تكوين الصداقات سهلا لكن الفهم كان نادرا لما لا يمكن أن يفهمه الشخص.كنت أحاول إيجاد مشترَك معه في الاهتمام وكانت الكرة والأشياء الذاتية هي المشترَك بينما لا يجب أن تكون الصداقة عن طريق الفكر فقط ،هناك مجالات أخرى للتشارك والتشارك القوي،كنت كلما بحثت عنه أجده وكلما احتجت سنده أجده،كان دافعا وملهما في كرة القدم.قبل أن ألعب جلس بجواري أحد الشباب الذي كنت ألعب معهم وقال لي"أريدك أن تراوغهم كثيرا،كما كنت

تفعل في السابق"فقلت له"أني لم ألعب من فترة طويلة والسجائر والشيشة أخذوا نفسي" فقال"راوغهم وأنت واقف حتى كما كنت تفعل"

حزنت بعد خروجي من الملعب بعد اللعب لمدة ساعة وما يزيد عليها،حزنت على هذه السعادة التي أغفلت عيني عنها لصالح أشياء أخرى وحزنت على إضاعتي للكثير من الوقت وحيدا رغم وجود أشياء ليتم فعلها وممارستها.وعلى تغطية تلك الوحدة لي بالعتمة المطلقة النفسية.لا أنكر أن فكرة الانتحار لم تذهب من رأسي ولكنها خفتت وواجهتها بالدفء واحتمالات تكونه وذهاب الصقيع المتراكم منذ زمن طويل في قلبي.فقد كنت أحتفظ بوحدة طويلة عذابية جلادية في كياني وفي رؤيتي،كل شيء يتكون منها،كل رؤاي.هذه البراءة المنعوت بها دوما رغم أني لا أرى نفسي على هذه الشاكلة أبدا،لا أرى أي ضوء فيّ ولا أرى أي خضار ولا أي بذور حتى يلقيها وجودي في الاخرين ،إنه بور مطلق كئيب موحِش،ولا أرى أي فجر يبزغ أبدا،كلها عتمات تتكون بشراهة ولا تنقرض.

رأيت وأنا عائد إلى البيت بعد اللعب طيفا للموت وكتبت في رأسي حتى عدت ودونته رغم كراهيتي للفة والكتابة والشعر.

يتمدد الطيف الضوئي الهائج المضطرب في فضاء رؤيتي

يختلسني

ويختم هناي بالعدم.

هذا الهارب من السماء الآمنة المتقدمة

وأنا الأرضي الاعزل الملىء بالخوف الذي لا يندثر.

أين أجد لي بيتا وسط المذنبات والنيازك والكواكب؟

البيت حفرية هي كل شيء.."

قلبي كان مضطرب جدا،عدت جسدي متخشب ومتصلب وكنت أشعر بكراهة كبيرة ورغبة في الرحيل،الشعور ذلك المزدوج الثنائي الذي يأتي وتأتي بعده سعادة مجهولة ولكني أحمل في قلبي ربما ذنبا وربما مسؤولية تجاه هذا العالم وكتبت

"

ليس بوسع قلبي سوى أن يحوي العالم

في حضنه الجاف المتقرح

رغم كراهته وعدوانيته

ليس بوسعه سوى أن يقبل بالصلب

ويعترف بأحقيته فيه

ويخلق صليبه بنفسه."

ذكريات مؤلمة

(2)

أجلس في غرفتي التي كنت أتشاركها مع أخي الذي تزوج وهو توأمي ،مشاركي في حياتي لمدة طويلة والعارف والمعاصر لكل تكويننا في الطفولة،تشاركنا الهبوط للعالم ،لهذه البقعة اليتيمة الفقيرة للشغوف.شوقي لطيراننا معا في الملعب والمبارزة أي منا يلعب أفضل من الآخر،وهذا السحر في المناقشة في مقروء كل منا ،والأشكال الكثيرة للمفهمات المشتَركة في قضايا كثيرة تخص الفكر والدين والفلسفة،والنعوت التي ينعتوها لنا باقي أفراد عائلتي.

كان فردوسا في الطفولة هذا العالم الملىء بالاشخاص الذين تناقصوا واحدا تلو الآخر بالغياب أو النأي.كنت أظن أن جذر وحدتي هو فكري لا واقعي لكني الآن أكتشف أن الأمر له نسب واقعي أيضا،نسب من هذا المعلوم الواضح الذي كنت أُعمَى عنه.

الان أشعر بهجرة وهجران،هجرة من كل شيء حولي وهجران من أساليب القدر والألوهي في التعامل معي،من هذا الجبر الرهيب وعدم وجود خلاصات نفسية في أي شيء.هبطت بعض الدموع الساخنة على خديّ من فرط هذا الخوف من فقد المحيطين،من السرقة العلنية للزمن لهم ،كنت أظن أن قلبي سيقوى مع استمرار الفقود،سينشف ،سيكتمل ألمه فيتحجر ويتصلب لكنه لم يفعل أبدا،كان يرق أكثر وأكثر ولم يكن هذا البرج العاجي البعيد الذي أحيا فيه حلا ،بل كان تضعيفا للمشكلة تلك.

وجدت العزاء الوحيد في الكتابة رغم كراهيتي الشديدة لها أحيانا وفي ضحكات الغرباء.العالم شبه المكتمل هو هذا العالم البسيط الذي يمكن أن تكون فيه النفس راضية،لا ساخطة على ما حولها

وقد كنت أشعر أني في طور انسلاخ مهم،طور انسلاخ ستمتلىء فيه تلك البراءة الطفولية بالنور وأصل إلى محطة عميقة بداخلي.

ذهبت لمشاهدة من يلعبون في اليوم الثاني وكان قلبي ينقبض وينبسط بسرعة شديدة،كوني رأيت نسبة كبيرة من الناس الذين كنت ألعب معهم،كون اليوم يوم الجمعة ،يوم عطلة لأناس كثيرة،سعدت بمساعدة هذا الخارج السابق الذي لم يتكرر منذ زمن ولم أكبح فرحتي بالابتسام.ذهبت للمقابر كون الملعب بجوارها،ترحمت على الجميع في هذه الأرض الكريهة التي أخذت حلو العالم منيّ،ورق قلبي من منظر المساحات الشاسعة من الخضار والألوان السماوية المتجلية والمتغنجة.رغم هذه الأثقال في عيني إلا أني شعرت بمقادير عالية تتسرب إليّ من النشوة في روحي.

لا يمكن الحياة وحيدا لفترة طويلة،لا يمكن الحياة بالابتعاد عن الناس أو حتى أطيافهم أو أشباههم من الأشباح،كان عليّ أن أتحلى بذكاء التكوين ذلك من فترة طويلة ولكني عشت ما دفعني إليه،ما هو في أصلي الجواني والمركزي،الآخر الذي أحيانا يكون جحيما وأحيانا يكون فردوسا وأحيانا يكون وجودا وأحيانا يكون عدما وأحيانا يكون معارضا بمشيته أو بجبره من قوى أخرى مسيطرة على الحياة أو الحياة نفسها.

كنت أهمل جسدي بشكل كبير،لم أكن أفعل أي شيء غير تدميره وإسكاته وإماتته،وكان ذلك يؤثر على نفسيتي.في فكري لا أحتقر الجسد وأقدم الروح فالاثنان يكوناني لكن كنت بدرجة ما أقلل من نشوته بالصحة وأغفل أنه فاعلا في الروح وفي نشوتها وفي عقلي كذلك ونشوته.الكآبة تستدرجه للأفول،تستدرجني لكراهيته كونه الجذر الأول لبقاء روحي فيه.

وفاة والدي

(3)

الاقدام تسير بسرعة متخبطة في بعضها مستثيرة الغبار للصعود وأنا اسير خلف النعش لا يوجد دموع في عيني ولا يوجد انفعال كبير في قلبي .توضع على كتفي أيادي وترفع للتعزية ولكني لم أكن حزينا بالدرجة التي يجب أن يكون عليها احدهم توفى والده حينها ولم أكن أعلم أن هذا سيؤثر .تقدم الشيخ لقول ترهاته ولم أكن أركز فيما يقول إلا عندما قال من لديه دين فليؤديه إلى الأستاذ موسى فؤاد ابن المرحوم.

لحظات الموت أفكر في الخلود،عندما يرحل أحدا.ولحظات الولادة أفكر في الانعدام التام.كانت أفكار ضدية للموقف دوما.

كنت غريبا في ذلك عن من حولي كوني تربيت في بيت ازهري على خطب الشعراوي وخواطره وحلقات مصطفى محمود.كنت شديد التدين في بداية حياتي، لا أؤمن سوى بالميتافيزقيات ،كأني خارج العالم والوجود والمنطق وكان إيمان متطرف وعميق أو كنت أظنه كذلك .أحلم وأتخيل كل ما أقرأه في الدين من حكايات وقصص ويلعب لاوعيي فيدخل قصة في أخرى وحكاية في حكاية.لم اكن افكر اني ساصير الشيطان بكل ما فيه في تصوري القديم.حيث الآن لا أؤمن بشيء من تلك لأساطير بالنسبة لي ولا أهتم سوى بلغة العلم في تفسير العالم.

الطمأنينة الوجودية لا يمكن ان تحدث لوجود عطب في الفكر.الطمأنينة حق للموهوم والواهم ،والقلق حق للمتفكر.هناك من يطمئن بالماوراء وهناك من يطمئن بالفن.اظن أن من يطمئن بالفن

يكن له علاقة قوية بالاستغراق الصوفي في الحياة ،استغراق قوي بلا رادع.

تذكرت حواري من زمن مع أمي قبل وفاتها عندما قالت بحنان :تعال يا موسى..ألن تسعدني بالزواج قبل أن أموت؟

فقلت لها:يا أمي أنا أريد إسعادك ولكن ليس بأمر فوق طاقتي

فقالت بحزن:كل الناس تتزوج يا موسى والعمر يعدي وأنت عبرث الثلاثين من زمن

فقلت لها:أنا لا أؤمن بهذه المنظومة التي تسمى الزواج كما أنكِ تعرفي طبيعتي،لا يمكن أن أفعل شيئا لست مقتنعا به.

أنا مدرس فلسفة في مدرسة ثانوية بمدينة في جوانية مصر ،تخرجت في التسعينيات الماضية ،أعمل من سنوات في هذه المدرسة بعد التنقل في العديد من المدارس الثانوية وعلاقاتي محدودة بشكل ما بالنسبة إلى زملائي الموجودين في المدرسة،لم أتزوج بعد وأظن أني لن أفعل لأني لا أؤمن بالحب ولا أؤمن بالزواج،تكفيني الحرية البسيطة تلك من ذلك.كنت أعيش مع أمي حتى توفت وانتقلت للحياة مع أبي بعد وفاتها.كانت أمي من أمنياتها أن أتزوج لكي لا أهدر نسلهم ،فأنا ابنها الوحيد.أظن أن طبيعتي صعبة ومعقدة ولا يمكن أن تتفكَك بأي شكل،كون فكري هو من يصنع حياتي لا العكس لذلك أنا حي طوال الوقت في رأسي ،أفكر في كل شيء،حتى التافه منه.

كنت أتجنب الأحاديث الدينية في الفصول الدراسية لكي لا يتم طردي من المدرسة،أتجنب الحديث مع الطلاب عندما يتعلق شيئا بالدين في منهجي الدراسي.حياتي الواقعية طبيعية روتينية أما

حياتي في رأسي مضطربة أشد الاضطراب ولم أكن راضيا عن الحياتين بتاتا،لم أكن هكذا متناغما مع العالم.

أذهب للفصول أدلق فيها ما أخذته في الكلية وما درسته، ليس ما قرأته.الأفكار التي تبجل كل ما أكرهه.لم يكن لي صديقا في المدرسة سوى مدرس الرسم الكبير الذي ألهمني في بداية تفكيري"علي" لم أكن أعتقد أن الواقع والمدرسة يحملان في طياتهم أحدا لديه تفكير مختلِف عن سير النمط العادي في التفكير المعروف من التقديس والاطمئنان إلى الموروث.طبيعتي التي تغيرت ليست مبادرة للصداقة أو للدعوة للجلوس أو للتعارف ليس بسبب الخوف ولكن بسبب ربما عدم الإيمان بالواقع الآني لي وعدم الأمل في إيجاد أحدا له مشترَك دلالي وخلخلة وجودية ونظرة أخرى للعالم.كانت عقبة الوحدة النفسية أمام الكثير في حياتي واختلف ما حملته الصدفة في معرفتي به واختلف المكشوف كله لها على غير العادة السوداوية.تمشينا كثيرا وتناقشنا في أمور شتى وكنت أستمتع كل مرة بالأفكار الجديدة والمفهمات الأخرى،فالمنولوج الداخلي انتقل خارجي بدلا الذهاب إلى القاهرة للحديث إلى المقاربين فكريا ومحادثة الفلاسفة في الكتب والأبطال في الأفلام المفضلة.

من هذه الصداقة تغيرت النظرة الكبيرة للواقع وحويه،من تجربة مر بها صديقي في تأثير فكره على الواقع وسرد الأحداث المتسارع لذلك التأثير لأن التأثير تعدى عن محيطه العائلي.كان حاوي لي في فترة صعبة جدا في حياتي وكانت الأفكار التي أقولها له وأحكيها تخفف الكثير عنيّ،خروجها من الفم فقط،ولكني بسبب تلك الوحدة كنت أكبت الكثير منها خيفة إيلامه من رؤية أحد يتألم فأنا أعرف حساسيته من مواقفه الكثيرة ضد أحداث تاريخية ويكون

الرفض إنساني وجداني لها وبعد ذلك تتشكل الأفكار حول هذا الرفض معارضه إياه.

هناك أشخاص تشع دفئا مجانيا،دفئا بالسليقة لوجودهم وبهجة تجعل المحيطين مطمئنين وخفيفين للحكي والسرد. بتركيبة نفسية متطورة وتتطور باستمرار بلا هذه الأمراض الأناوية الشائعة والمنتشرة.

نمشي في ليل القرية ،حول حدودها وخارجها،وسط الأضواء الخافتة للسيارات وعلى الطرق الترابية غير الممهدة،راكنين إلى أي مكان للجلوس والمناقشة.

"علي" الذي كنت أراه دوما حنينه الوحيد لغربة أكبر وأعمق ولوحدة كذلك لكي يتغذى على جماليات العالم بالكامل وعلى بشاعاته في لغته،كان توقه في شبق الشوارع وكفايته في غرفته المغلقة ومفره في بيئته الميثولوجية،حرا من عصي الفيزياء والألوهي .

أنا وهو نعد بلا أهمية بالنسبة لباقي المدرسين،فهو يشخبط وأنا أعلم الضلال.كان يحب الشعر على عكسي ويكتبه ويقرأ كثيرا،هذا هو المنفذ الوحيد الفكري الذي أستطيع أن أحدثه في كل شيء.كنت أقدره جدا وأقدر كل ما يشعر به رغم أني لا أشعر به.خجولا جدا رغم أنه على الورقة إلها،أراني رسالة انتحار أو رسالة إلى الموت كتبها

"أحتفظ بالنفي في قلبي كما أحتفظ بعوالمي التي كونتها ولغزّتها ،وأحتفظ بكِ في سرداب الطيوف الطويل.اليوم فكرت بصدق أن أرحل بعيدا هاربا من كل الموجودات والمجردات،مجرِبا وراغبا في السكرات الأخيرة التي تتقيأ فيها روحي جسدي.تاركا الوحوش الداخلية والخارجية تنهشني بدون مقاومة.لقد فكرت أن أنتحر وأنا

سعيد بلا كآبة وهذه هي المفارقة الغريبة.والعيون كلها تنظر بأنواعها المشفِقة والفاهمة بلا اكتراث بكليهما.هذا الخراب يستحق أن يُتَرجَم إلى فعل قوي ضد الذات،والانتحار هو أكبر فعل ممكن مخرِب في حالتي الذهنية الحالية.الوحدة المزمنة التي لا يمكن الخروج منها المدمَنَة.فهناك لحظات تعبر لا أكون موجودا فيها وهناك لحظات تعبر أشعر بتعسف وتطرف ولحظات بلامبالاة تجاه أي فاعل ومفعول حتى لو كانت أكبر الجرائم الوجدانية.أظن الانتحار،هذه الفكرة اللولبية تكتمل بين عقلي ووجداني ولا يقاومها شيئا فيّ سوى رتوش الوجد المتبقية في قلبي المتعب."

قرأتها بإعجاب وبتحسر ولكن بلا شفقة،وسألته عن الطيف الذي يخبئه فباح بأنها معلمة الفيزياء في المدرسة.كنت أنا أفكر في الانتحار أيضا لكن لم تكن فكرة ذا تأثير قوي،ككل الأفكار التي تمر في رأسي.الانتحار يسبب لي بلبلة عقلية وكأن هذه الفكرة ،فكرة يمثُل أمامها كل شيء.كنا في بيته وكان يمسك الفرشاة ويرسمها ونحن نتحدث.

يقول:أريد أن أنزه انتحاري عن أي وهم بمعنى أني أريد أن أنزه عن عطب في الخلايا في المخ،أو إجبار سوداوي منها

فقلت:ولكن هذه الخلايا هي أنت أيضا ،لا يمكن التنصل منها على أنها أحدا آخر

كان مؤمنا ولكن إيمانه كان يمكن أن يُنعَت بأنه غريبا.كونه لا يؤمن بالإله مشخصنا من الدين ولكنه يؤمن بقوة ما لامحدودة حققت كل شيء.

وأردف:نعم هي جزء منيّ ولكن ليس ما يُسير حياتي

فقلت:هل تحتقر مادتك وتمجد المجهول الذي فيك أكثر؟

فقل بعد شرود:لا أحتقرها ليس بهذا الشكل المتعسف ولكني أمجد هذا المجهول..ماذا نفعل في الحياة موسى؟لم أنت مستمر ولا تنتحر؟

فقلت:أنا لا أحب تلك الجنائزية الشعرية في تناول الأمور ولا سيما حياتي،إنها فرصة وحيدة في الزمن للحياة وباقي الزمن للموت فلم لا أحيا تلك اللحظات القليلة وأموت تلك اللحظات الكثيرة!

فقال:أنت تعرف أني أؤمن بالشطح وأؤمن بقدرة ما ليست كاملة وصرفية ولكنها موجودة وشعرتها في الكثير من الأمور

فقلت:هل تظن أن هناك قدرية؟هههه إنها صدف تتخبط في بعضها فقط ،أحيانا تكن في صالحك وأحيانا لا ،أنت تعرف أني أحب العلم ،أحب معرفة الأشياء بعلمية ليست بشكل ملغز ومجهول

فقال:العلم لا يستطيع تفسير كل شيء ،ليست له قدرة على ذلك،الإنسان يتغذى على الملغز والمجهول في وجوده،أظن أن إرادة البقاء هي إرادة استكشاف الذات

فقلت:لا آلية يمكن لها تفسير كل شيء لكن فقط يمكن تصديق العلم بشكل جازم

فقال:آه يا موسى،ليس لنا متسع حتى لنحكي،ليس لدينا أشخاص تفهم وتتفهم ذواتنا،لولا رفقتك لكان جحيما كبيرا وغربة واسعة ،عندما أجلس أتأمل في حياتي أجد أني لم أناقش سوى الورقة وأنت فقط

فقلت:أعلم وأنا أيضا لكنك لديك وسيلة تعبير أما أنا فأخشى إخراج هذه الأفكار المسممة على الورقة طوال الوقت إلا قليلا

فقال:جرب أن تكتب ،الأمر ممتع ومنفِذ إلى الداخل البعيد

فقلت: ماذا سأكتب ؟

أريد صمتا يسكن كل شيء

ولا يحيله حتى حدوثه.

أريد صمتا تسمح به اللغة

وتعبر عنه حتى نهايتها.

هذا الوحش الذي لا يُترَجم لشيء.

قلبي يعبر من صمت إلى صمت أكبر

وعقلي من نشاز إلى نشاز أكبر

ووجهى تذوب ملامحه عندما أنظر للمرآة.

فقال بطاقة كبيرة:هذا والله لشعر،لديك هذا الحدس الصوفي ولكن لا أعرف لم تنكره وتكرهه؟

فقلت له بعد أن قمت من جواره أنظر إلى اللوحات التي بجانبها يوجد قصائد له وأقرأ بصوت عالٍ:

لم يدلني أحدا على دربي

وجدته وحدي

مطمورا في روح العالم

وفي أعماق المتاهة

وفي نار الأهنية البعيدة.

ومشيت خفيفا وثقيلا

حولي الآلام وفيّ

ولا ضمادة في شيء

ولا موسيقى دائرة.

على الذرى ذاتي وفي القعور

تتخلل الضآلة والملأ

ولا أجد تعريفا واحدا لها.

ولم أعد من حينها لبلادي الأولى

ولن أعد.

فقال بعد أن قرأت:إني أقرأ لوحاتي بالشعر هكذا أستمتع باللوحة أكثر وبوحيها،أحيانا أرسم ويخرج شيئا على البياض ليس له علاقة بما كنت أخطط له.

فقلت:هذه طبيعة الخلق،لا يمكن أن تعي نفسك كليا ،أنا ممكن أن أكتب شعر إيروتيكي فقط ،كتبت ما يشبه شذره هه

شطح حلمتيكِ نبتتان في أرض ألفتها أكثر من الأرض

والخاصرة المعرَقة دون قماش العالم الردىء غيبي الأنقى

ويدي الرسولة التي تكتب التلغيزات في مداعبتكِ تصير يدا لإلها حزينا بليدا.

فضحك جدا وقال انظر لهذه اللوحة،كان شخصا مصلوبا نائما أمام عين كبيرة ضخمة وقال :

أنا الجزء الخبيث من العالم

الذي ينضج بالسم ويهتاج للتسميم.

أنا هذه العفونة الفياضة بروائح الكنه.

فقلت له:إنك شخص طيب وجميل،فلا تنظر لذاتك بشكل متطرف في الازدراء والكراهية،لم لا تعطها رسالتك؟

فقال:أنت تعلم أني خجول،ولا أعرف هل تحس أم لا؟وإن كانت هل تبادلني شيئا أم لا؟

فقلت:الخالقين كائنات معقدة جدا،جرب لن تخسر شيئا،قل لها أو ابعث لها الرسالة ولا تحيا في رأسك معها كثيرا.

وفاة والدي الثاني:عمي
(4)

عمي كان من أطيب الشخصيات التي عرفتها رغم صرامته الظاهرة بالنسبة للناس،لكنه كان متقبلا للكثير من الأمور.وكان ألم فقده بهذه الطريقة من أكثر الشقاءات الممكنة التي حييتها.كنت أجاوره دوما راغبا في مزحة منه.فقد كان حنونا بدرجة لا توصف وكان حنانه حقيقيا لا مصطنعا أو مفتعَلا ،يظهر في عينه،في بريقها وفي نبرة حديثه ،في بعض كلماته.كان يجسد جمالا نادرا لم أجده في الكثير الكثير من الناس،جمالا طبيعيا عذبا أثره على كل من حوله وكان يداعب كثيرا ويمزح كثيرا معنا رغم رؤية الناس له أنه قوي بدلالة سيئة.

الليلة التي تسبق وفاته،نزلت له أنا وأخي وكانت عمتي موجودة،أخبرتنا بالصعود لكي لا نراه وهو يتقرى حياته وروحه،ظهرت على وجوهنا الحسرة الشديدة ونظرنا له كأنها آخر مرة نراه حيا.اختلطت في رأسي الكثير من الأفكار حينها،لم يحدث كل ذلك؟وما هو هذا الكائن البشع الذي يختطف الأرواح من الأمكنة والدواخل التي تحبها؟ولكن الموت يختطف فقط التحقق ذلك لهذا الكائن الإنساني،الوجود الفيزيائي هذا،بينما لا يختطف ذلك الأثر الكثيف له.إنه مُطوِي العوالم والكائنات، والحياة يجب أن تكون بنكهته وإلا لن يكن لها طعما وذوقا،لعبة البداية والنهاية المستمرة.

صعدت إلى الدور الذي فوقه وبكيت كثيرا بحرقة مثلما بكيت يوم وفاة والدي،رأيت هذا الشبح المتألق لعمي كثيرا في أحلامي،بلا مرض،بلا وهن ،واستغرقت في رحلته وذكرياتي معه ولم أستطع حينها أن ألجأ لشيء ليطمئنني،أحسست بغربة شديدة عن

العالم،غربة تتضاعف بلا نهاية حتى اختنقت تماما ونظرت حينها للسماء ،كانت غيمية من الدموع وتلألأت الالوان وربما هذا هو ما هدأني فقط وأقر فيّ تعاليم الكون وقوانينه التي لا أؤمن بها وأعارضها كثيرا.

في الصباح صحوت على زعيق أمي،ووجهها الأبيض الشاحب لتقل لي أن عمك قد توفى،لا أعرف حينها بماذا شعرت؟ولا بأي منطق أحاكم العالم؟ولا بكل ما عليّ أن أفعله لمداواة هذا الجرح الأبدي؟

التجأت من حينها للتخييل،لتخييل من فقدت وربما ذلك هو سبب حلمي المستمر بهؤلاء الأعزاء الأحباء مع سواد كامل حدسيا ورؤية عدمية للعالم.إن هذه التجارب هي ما خلقتني كذلك،هذه الصدف والأقدار والبيئة والتركيب الفيزيائي والفيسيولوجي.

مع الوقت كنت أكتشف هذه الرهافة المزعجة المؤذية التي تعمُق أكثر مع الألم وفي ما بعد مرحلة الكوارث الوجدانية.ولم أكن أستطيع جعلها اقتصادية أو تخفيف كثافتها أو ترميزها في لغة ما حتى الكتابة.أحيانا أشعر أني صندوق مخبىء فيه مشاعر كئيبة عميقة في جذورها ،تمتد إلى ما لا أعرف فيّ،كأنها لعنة الإدراك المتطرف وشبه الكامل للواقع والفكر.والهتاف في باطني للرحيل إنما هو صدى تلك المشاعر البعيدة المتداخلة المعقدة المتشابكة.لست صفحات بيضاء أبدا لا يوجد عليها تواقيع الألم والعصف وأختام الكون وقوانينه.متى سأفطم هذا الطفل البسيط الجميل وأتوحش على ما بقى لي من وقت في العالم؟وأتقن الجمود والتصلب والتحجر واللامبالاة واللااكتراث؟

كونت هذه الآلآم شخصيتي وكونت هذا الألم العدمية المطلقة أحيانا والعدمية الجزئية أحيانا.

بعد أن رحل علي عن القرية والمدرسة بدأت بالكتابة بشكل غزير جدا وبدأت أرضى على تعريف ذاتي بشاعر مغمور أكتب كثيرا ولا أحد يُقدِر ما أكتبه ولا يتذوقه، ولقد فقدت الأمل في إيجاد أحد.أُسائل ذاتي وأُسائل أناي عن هوية الشعور بجدوى إيجاد التقدير،هل أحصل على هويتي وجدوى ما أخلقه من مشاركيني في العالم،من الآخرين؟ فكرت كثيرا في إحراق ما أكتب،تفكير جدي حقيقي من كثرة اليأس والإحباط.

استيقظت سكرانا بلون الفجر وسحره وفي داخلي غصة عظيمة من العالم ومن مآلم الحقيقيين.أدندن للتوني وعلى وعي مباشر بدلالة الازدهار للافول.ولا يوجد أي عزاء لعدم الانتحار سوى بحة التوني الغادر الذي يحلل وجودى كله.استيقظت وسط أعماق ربانية للجنون بحبكة مجدِفة قلقِة.سطعت الشمس بضوء أزرق وأنتجت امبراطورية من جثث الشخوص.وبدأت أتقمص شخصية الجوكر السيكوباتية وأعددت المكياج له وكانت هذه أول مرة أخرج بهذا المكياج.

بجواري ديوانا لي.هذه الجثة التى تحيا فيها آلاف الديدان الدلالية المتأججة للخروج لماهية العالم.بجوارى فراغات لانهائية متعددة تتضاعف مع نظرى لها.عين حزينة تراقبني بؤبؤها فحم مشتعل.قلبي طيع لاستثارة الكراهة جميعها في العالم.

تقذف ذاتك في الكتابة،تستلهم ذاتك من الكتابة،تُنتِج ذاتك من الكتابة ،تستخلص ذاتك من الكتابة،ولا تدري حتى محتوى تلك الصور لذاتك كلها ..اندلقت خاتمة الحكاية وشخصياتها وحبكتها في حوض الهباء الممكن .

أصدقائي مجموعة من الناس العادية الذين لا يقرأون ولا يفكرون في وجودهم إلا لصالح منفعة مادية مع مجموعة من متبَلات عاطفية.إلا رسام واحد هو من ألهم بالخروج من الذات والعالم إلى فضاءات يُستبَاح فيها كل شيء ويُفتَح فيها على اللانهاية لكنه رحل عن القرية.أنا في طريقي إليهم الآن ولا أستطيع أن أتخلص من الكتابة أبدا وهذا يقزمني نفسيا مع التقزيم الآخر الوجودي.

والتحجُب في نظري ليس خيفة من المرئيين،والتلغيز ليس نقص قدرة على الوضوح ،الغرابة ليست لجذب اهتمام المألوفين.بل المجاز واقع طيفي متفوق غائب ،حوافره في المكان الخالي من الالهه.

أشعر بقلق في جميع الأمكنة. أشعر أنها تلفظ ذاكرتها المواتية السوداوية في داخلي .جميع الأمكنة كذلك حتى التى لديها تاريخية مفاهيمية كالماخور والحضرة. أشعر بذلك وحيدا ومع أحد. سكيرا وواعيا .كأن كل الأمكنة منخورة بزوال لا يزول ورغم ذلك سأذهب للمقهى مكان اجتماعنا وأنا أُذهل من شخصيتي معهم.أحيانا أقضي الليلة جميعها صامتا وهم يلعبون الشطرنج،يتصايحون،بدون أن أؤول ذلك بالتفاهة بل الأمر أن اللعب هو كنه هذا العالم،هو أداة لإشراك الآخر مع الذات في دائرة واحدة،نوع من الاختلاط المحبب للأنا دوما ليس كالأنا الانعزالية والاعتزالية مثلي.

قال قلبي الزوال ،وأفضى إلى أقصى صمتِ إنكاري،قال كونه في اللغة الهستيرية،وعجز عن أي صلة بالعالم.فرغم علاقاتي معهم الذين يعتقدون أنها قوية فأنا على المستوى الشخصي أي الواقعي نتبادل الذهاب لبيوت بعضنا ونأكل مع بعضنا لكني لا أعرف لا توجد لي علاقة مع أي أحد في العالم ،وهل معيارية الأمر في

الفكر المشترك؟لكني كذلك أقزم الإنسان في شيء واحد والإنسان له جوانب كثيرة.

وصلت وكل هذه الأسئلة تدور في رأسي،أشعلت سيجارة وذهبت لأحضر كرسيا،لم يكن موجودا إلا داود وعمر ،ولم ألقي عليهم السلام كالعادة لأن الشىء الوحيد الذى مكث فيّ هو شعور بالاستفراغ تجاه الواقعيات والاجتماعيات .أن أضطر إلى قول لغة ثابتة ومعانى ثابتة بها من التبجيل والزيف كل شىء .الذي بقى هو ما خلقته البيئة الأناوية بجمعها في داخلي . الذي بقى هو العنف الكامن لأي أحد يهدد حريتي الوهمية ومعناها ويهدد صمتي من شدة الالم ..

قال داود:أهلا بشاعرنا الذي لا يفهمه أي أحد في العالم،ولا حتى هو يفهم نفسه وما الذي فعلته هذا في وجهك؟

عمر:ههه،لا يا رجل ،هو يفهم نفسه،ما هذا يا جوكر؟

أخذت الأمر بضحك وقلت له:إن فهمتني لن أكون شاعرا،تريدني أن أكتب كلاما تافها،مثل المواويل التي تسمعها لتعترف بي،لا أريد اعترافك أيها الملعون ههه،أنا حر في شكلي وهيئتي،سيتعود الناس على شكلي،يتعودوا على أكثر من ذلك!

داود:أين بقية التافهين ليؤنسوا هذا العميق؟

عمر:سيأتون بعد قليل ،قابلت محمد في الطريق وقال سيأتي بعد قليل وسامح كذلك

داود:اوكى،تعال بالقرب مني لنتحدث يا ..هه..جوكر ،شد كرسيك أو أتي أنا

قلت له:لا تقلق،أنا لا أزعل منك لأني أفهم رأسك.

كنت أشعر أني لا أحدث في العالم .أشعر أن لا شيء في العالم يحدث، تكرارات لنغم واحد منذ اللغة. و صمتي أو صموتي خارجة عن لغة الصمت،صموتي منتشرة في اوتار الأكوان ،صموتي لاتوافقات مع النغم.

قال داود:أين ذهبت؟أراك تشرد كثيرا هذه الأيام،هل تحب هذه المرأة صاحبة الأرداف العالية التي تعبر من جوار المقهى كل اليوم؟هٍهٍه،لكنها متزوجة،لكن لا بأس،أنت لا تهمك هذه الأشياء

نظرت له بصمت وضجر وقلت له:لا يا داود ،الأمر أعقد من ردفين عاليين

فقال عمر ليخفف وطء الحديث:سأذهب لأتي بالشطرنج لنلعب،كفى هراءا بينكما

فقال داود:أعلم أنك تحب الأرداف العالية وتكتب فيهن شِعرا رغم أني لا أفهم معظمه إلا أنه يثرني،قل لنا واحدة من تلك القصائد ها ،التي تنزِل عسل النساء

لازال بي بعد الفسحة بعد قبل الاختناق فأدرت وجهي وجاء عمر بالشطرنج حتى أوليت رأسي للضباب الهابط مبكرا ولبيت مهدم أمام المقهى ، شاردا

لقيطة عيني،تائهة وسط ما كان فى السماء ،كنت استجلب وحيا من عتمة

لان الضوء زائف وزيّف الحضور كله .القمر وحيدا بنوره ،وحيدا بغيابه،وحيدا حتى في مدار الهباء.

أتت امرأة شحاذة إلى المقهى وتأتي عادة بنقابها الأسمر وجسدها الرشيق وجلبابها الضيق مع طفل صغير ولا يُعطيها أحدا شيئا إلا

الشباب،كانوا مجموعة من الشباب الذين يطلقون على أنفسهم،الشباب القوي الفاهم الحياة من أولها وآخرها بطولها وعرضِها لمجرد نمو بعض القوة في الأجساد،قال لها القهوجي وهو شاب في الخامسة عشر أو السادسة عشر:أريد أن أرى هذا الوجه،خلف النقاب الذي يزين هذا الجسد،آه..آه وإلا لن تأخذي شيئا،لا تعطوها شيئا يا أصدقائي إلا إن أرتنا وجهها.

فقالت بصوت خفيض:لا تحرجوني،لست جميلة

فقال القهوجي:بلى جميلة ،ارفعي النقاب قليلا

فتوجهت إليهم بجسدها ورفعته قليلا حتى ضحك الجميع وقالوا :جميلة ،جميلة ههه

فقالت لهم:هيا أعطوني المال أرجوكم.

فأخرج كل منهم جنيها وأعطوها إياه،كل ذلك وأنا أراقب كل ما يحدث،هذا المقهى كان عينا على العالم الذي أستكره وبعد ثواني رأيت يدا تضرب هذه الشحاذة على مؤخرتها مما استدعى ضحك جميع من في المقهي،كانت يد رجل مسِن شيخ فخرجت الشحاذة مسرعِة خائفة بعيدا،لم يكن لها حق في شيء والشيخ كان يضحك وأكمل لعبه الضمنة بكل راحة وبدون تأنيب للضمير.

عندها شعرت بوحدة مطلقة وغربة مطلقة جدا ، لا أعرف لم أشعر من قبل بذلك ، كأني في مركز وبينى وبين الجميع خنادق شتى وبرازخ.مهما كان الآخر متشابه وجدانيا وعقليا ولا أعرف ماذا أفعل في ذلك.القلق يزداد مع كل آن أدرك فيه ذلك.لكن فعلا لا أعرف ماذا هناك في قلبي ، ملح شديد الكثافة.الغربة تتجه نحو إخفائي من العالم ، أشعر أنى أختفي من العالم.

وتساءلت كالعادة هذه المرأة التي تعبر أمامي كل أيام والتي أسميها "فينوس" والتي تُحدِث في قلبي جلبة والمؤنث نفسه إشكالية كل شيء .فالعالم إن تأنث كان ،وإن لم زال.هل أشعر بها لأن لا توجد مرآة أضخم من مرآة الوحدة ليُرى فيها الكون والله والكنه والمرأة؟

فتحت موبايلي لأرى ما كتبت لها آخر مرة"

"رأيتكِ ترتدين الأسود أمام مقهى ما . تلاقت عيوننا بسرعة كما تلاقت أكثر من مرة .وجدت شيئا في داخلي اعتقدت أنه تلاشى وغاب ، شيئا تماس مباشرة معي بدون تأويلات عقلية وعلل عن الوجد الذي يتكون بدون أي سيطرة منيّ ، تنظفت الإرادات السوداوية لوجودي به .لا اعرف لا أريد الانقذاف في رأسي وتنغيم العالم على لقائنا العبثي القادم .أنا الغريب الناظر باختلاس لكِ ، المدوِن معانيه على مرآتي عينيكِ وأنتِ غير شاعِرة بالفناء القادم المحتوم فيكِ .

ما معنى التلاقي الكامل لوجودين في نظرة ؟ ما معنى الغياب في حضوركِ ؟ ما معنى الشرود عند تذكركِ وأنتِ تبتسمي ؟ ما معنى حدوث الصمت بيننا ؟ يا وجدانية العيون والوحي والكُل .

الرسالة الثانية:

عزيزتي :

الآن كل شيء معبَد للانهيار،الآخر يخرب ما تبقى من إرادتي في الوحدة ولا يسمح لي بها والروح الزرقاء مسوَدَة مطموسة في أماكن بعيدة خارج اللغة الفاكهية.

أراسلكِ لأشاركِ خرابي رغم رهافة أن أؤذيك به.ثمري كله سقط وأغصاني تقددت والجذر التائه بين الهويات لا غاية فيه.لا يفزعني

تآكلي،ولكن يفزعني وقته المبكر وتوغل السوس لآخر قيمة فيّ،الوجد.

أنتِ التي لم ألقاها واقعيا في مقهى مزين بدخان الشيشة،لقيتها في مكاني المحبب المليء باللوحات بأنواعها في مخيلتي،وتذوقت عينيها الحزينة المخزونة فيها تموجات مجاهيل وطلاسم من أجناس طلاسم ومجاهيل الإلهي والفني والشعري.

أؤمن أن وجودكِ أخصب من متخَيَلي كله

أؤمن بقدرته على وزن وحدتي كلها.

كان هذا حصيلة تمردي بهذا الشكل على العالم والمعنى ،وهذا التمرد كان رد فعل من باطني على وحشية العالم وعدم إنسانيته، لكن رد الفعل ذلك جعلني وحشيا على ذاتي ،ذئبيا ،بلا هوية،بلا عزاء،مستكرَها حتى من الاشباه أو الذين أظنهم أشباها.جنيت على نفسي الموت البارد العميق باستمراري بدلا عن الموت السطحي التافه منذ زمن.

لا أعرف هل هناك عطبا فلسفيا في رؤيتي؟هل هناك سرا مسموما وطئته؟لم أكن أظن أن قيود العالم قوية إلى هذه الدرجة،أنا محبط وبائس بلا أي إرادة في البقاء أكثر.

المنكِر مثلي له إلزامية أمام قوى خفية بالنفي المستمر بأي وسيلة ونخل الوقوع اللانهائية بلانهائية الآناء وهذه وسيلة مستمرة له ورغم ذلك في كل إنكار له أمل يائس في عدم إخفاق الكنه،لكنه هدى يخفق في كل مرة.وهذا الإشباع الوجداني للشاعر الذي يأتي من اللغة وهي التي ترقيه في رأسه للانصهار وهذه أجل وظيفة للغة وأولها كبرزخ ليس كحاجز،انتفى فقد مللت اللغة ولم أعد لدي ثقة فيها ولا في الصرخة في الشوارع باسمكِ أو باسم نيتشه.

المخرِب يحمل المفهمة للقعر بالكامل والاستقلال عن الخلاص أهم خصائص شخصيته لكني تعبت ولم أعد أقوى على التخريب،مخالبي وهنت وعقلي تفكك إلى نهايته.

إنى أتآكل كما يتآكل جسد من الخلايا السرطانية

معانيّ تأكل بعضها على مرأى منيّ

وأنا لا أقدر على فعل أى شىء

أتحول إلى لوحة كاملة السواد

إلى قصيدة فارغة

إلى فراغ مجسم

إلى هازىء ومتنمر على أى نوع نور ممكن

إلى كائن مستباح من التعاسة اللانهائية والرفض

إلى جدب يطور جدبه بشتى الطرق.

هِيمي معي ومع ذبذبات الزمارين الأوائل

لا دفء لنا في العالم ولا مستَقر

سبحاتنا فناء وصلاتنا مجهولة الجهة دوما.

لينبت أزللكِ في هذا العدم العبقري في تكويني

لتتراوح عينيكِ على رمادي ليُسَر وينتثر

وروحي المسعورة للجماليات ألفت الرحيل والتيه بين الأثير."

الشهود السريالي

تذكرت البارحة المشؤومة أو النورانية في أرضنا الزراعية التي كنت أسهر على أرزها لكي لا يسرقه أحدا بعدها فكرت فيما يحدث من حالات الدين من التجلي أو ظهور مرئيات أخرى غير المرئيات الواقعية .

الصفاء والشفافية والحصر فى إرادة تكوين أشياء هى ما تكونها فى النهاية .

التماهى الشديد فى المعنى المرام إليه والمرنو إليه هو الذى كونه فى دلالة هذه الفكرة فيّ .ما أسميه بلبيدو الطيف اللامشكل .ليبيدو المطلق .

ما هى المعجزات؟ المعجزة هى سريالية واقعية فقط يستطيعها إنسان ،والفيزياء ليست سوى مواد وقوانين ،بينما المعجزة الحقة هى المعنى اعجازية الله في معانيه ليست كونه يخلق الأكوان بالقول .

أو هى هكذا بالنسبة لى بينما للاخرين لا لأنهم يتوقون إلى كل ما هو حسي مفارق ومغاير .

وتساءلت ما تشكيل الاول ؟ ما تجريده ؟ نمت وفى رأسي هذا السؤال .

أنام بلا رغبة فى اليوم التالي ولا غاية .أسرح الرياح المحمومة المصطكة داخلى إلى ما أشاء ومن أشاء رغم انى أعلم أن الرياح تلك نساجة الغواية والغواية فى جوهرها تشكيل جديد للمغوي

والغاوي. التسريح رزق العشوائية النفسية .أفكر كثيرا فى وجودى كتهلكة لا تريد التغير ،كهياج منكَر مطلق فى زجاجة المجتمع المغلقة .أفكر كثيرا فى البحر قبل النوم خصيصا ،فى اي شساعة لا يحبسها شيئا مثلي.

لدى تصاوير لغوية لم تخرج وأنا أنتظر تشكيلها ولوحات تجريدية انتظر إتقان الرسم لارسمها لافضح المكبوت،وافضحه لاكوّن غيره،قبلها كنت أحن لقراءة بعد قصائدي .

محاجرى مكحلة بالتعب،ويداي عليها فحم من القلم الذى أحاول الرسم به تشكيلات بسيطة فى رأسي .زاحم شعوري وحشة غريبة .معكرا ، مشوبا ، ونازحا منيّ .نازحا من اي كون خيالي لمحاولة الابتعاد عن التخييل كأداة للنشوة،ولكنى عدت فى النهاية له وفاضت بسمة على وجهى .

نمت واستيقظت حزينا بعد عدة أحلام كابوسية .أحدها أكسر فيها رأس أبي بصخرة قذفتها من على يدي وكتفي كنت أحملها وأمشي بها تعبا تائها .

هل هى حمولة السلطة رغم الوجد ؟ واحد الأحلام الأخرى انتحر بالاشتعال كأنى ورقة لا تشفق عليها النار .ما ذنب الواله بولهه ؟ بوهب كله ؟ أفكر بفضائحية وعري شديد فى كل من تولهت بهم .لا سأبدأ ذلك فى وقت آخر .الان فقط ساهوى فى التخييلات الصباحية البديهية وأرى ما حضر من أطياف والشمس التى اشعتها مخربة وغير منظمة وجسدي أشعر أنه غير كامل،لا أشعر سوى برأسي، لازلت نائما .

تقرّحت ورُوعت من كل ما حدث فى خيالي حتى النشوة تحرق وتؤلم،تحرق وتؤلم المطلق الذى أتذكره فى ذروة ألمي،إنها توسع

مساحة الشعور بالحياة،ولكني أشعر بعجز لعدم الوصول إليها ثانية وبتقزيمها وانكماشها بعد ذلك أو عدم حدوثها ثانية فتترك فراغا فى مطلقي .

هل انا مرتبط لهذا الحد بذاتي ونافر من الاخر ؟ ماذا تفعل اللغة فى المعاني فيّ؟هل تقويها أم تضعفها ؟تكشفها أم تحجبها؟هل أكتب كل شيء؟لا توجد وثائق للحقيقة،ولا توجد عهود ممن خلقها على أحد بالمعرفة؟

ما موضوعي الاكبر؟ الله ؟ لم الله بالذات؟ربما ليس هو شخصيا وربما هو فلأنه خالق محتمل تُرد إليه العلة بدلا عن مادة غريبة عن شاعريتي هى الخالقة؟

على ماذا تحيي يا عين قلبي؟على ماذا تحيي يا عين الله ؟

تذكرت الشيطان لوهلة وهو بالنسبة لى الشخصية الميثولوجية الأكثر شهرة مع الله ولكن بتبشيع كامل وشر وكره وظلامية ،حيث أنه مصدر كل إثم ورعب وخوف .وقد أثر ذلك على احتوائي له وسردى وتخيلى ومعاني .

أثر لأنه هو ببشاعتي وولهى معه بالازدواجية المخيفة ،ازدواجية الزلفى والنبذ .

قالت لى امى من أيام " استعذ بالله من الشيطان الرجيم ،فقلت لها " أستعذ بنابذ من واله " .

كوّن بشاعتي الوجد ،كونه ألمه وفقده بارادة المرادين او بارادة الكون .

لم أحتمل البيت الان لم أحتمل الدفء الذى يشعر به الجميع فى بيته ولا أشعر به أنا .خرجت لبيتى الشوارع الناعسة الفارغة أدب على

أرضها وترابها يرتفع بخوف وبفوضى ،مختطفا لحظات من عمر الليل .

إلى المدافن أذهب ..إلى المقابر المليئة بأحبتى،كنت أدارى عتمتى الداخلية طيلة حياتى .خلقت أطيافا وهربت منيّ وعليّ أن أسترجعها أو أقتلها .يأتوا عندما أحاول أذية ذاتي وتدميرها،كيف أقتلهم فيّ أو أسجنهم ثانية فى داخلي

وأحيا مآلم رهيبة؟أسرعت فى المشي وجريت مضطربا جدا،كانوا بعيدا الطيوف المفقودة ،وطيوف أخرى نسيت أنى أحميها من الزوال نهائيا .

بدأت أصرخ لعل الصرخة تتمم التعبير بعد اللغة واللون .بالصرخة يتآكل الكون أمامى يُنهب من خمر ناري .دموعي تسقط من مقلتين هاويتين .لا شىء يتجلى أبدا فيّ لا شىء يحمي من المي .كل شيء داخلي وخارجي يتسرب فى نخاعه الألم ،هذه رؤيتي الحقيقية .رغم أن البعض يقول أن بي أشياء نورانية .ولكن كنهى الحقيقي المكثف الذى أراه دوما فىّ .هى هذه السوداوية والكابوسية والألم .الألم الذى يعطي إباحة لكل شىء .لأي بشاعة ..لأي جنون ..لأي عبقرية ..لأي انسلاخية تكوينية ..لأي الوهة أو شيطنة .

خرجت للحقول اصرخ كالمجاذيب راسي بها دوامات سوداء .اخف بالتخلي ولكنى اتألم أثقل بالتجلى ولكنى انتشي .متى تاخذني الطيوف وتدورنى إليها؟ .دائخ جدا والكواكب تظهر لامعة فى افق راسي لما اغمض عيني .

ما الذى يشكل العماء ؟ والعيان ؟ما نسب الزوال ؟ساذهب الى حلمى لاحضنه فيه فهو أينه الوحيد .راسي لا اعلم ما بها تتدفق الكلمات بصوت وصراخ .لا اعلم خرجت للحقول فى العتمة.تقول

الاصوات المجاز مفتوح اقترب ازدلف لا تنفر،كل الابواب مفتوحة لرؤاك .انشق عن كتلتك ولا تدارى حويك حويك مقبول ومحمود .ظلال تتحرك تملا المكان على الجدر البائسة .الدخان يملأ المكان كالماء وأنا أختنق .أريد أن أشق صدرى ،الضلوع تنفلت من بعضها ،تمزق مريع لاربطة الفيزيائي .

من انا ومن حفرني هكذا ؟ إنى أجن من تخييلات لا تحترم اى شىء

كيف انقب عني فيّ وأنا بلا أى لغة سوى صرختى ؟ النسائم تحمل دفئا غريبا ،تحمل نشوة هيروينية بلا سعر .أشعر بحريق فى اصابعي كأنهم شمع ينتهى .أشعر أنى خليت من ديناميات البقاء من غرائز المدد .اشعر بصوت خفيض يقل خذ القلم .يداي ترعش جدا .لا اشعر بجسدى كله الا راسي ،اصابعى تتحول لافاعي .نثيرات بالغة الكثافة بالاسود تتطاير فى المكان .كشرنقات تخرج منها اجسام اكبر منها كائنات ميتة ،كانى احبل بضوء لا يخرج .ما جسم العالم ؟ انه جسم الهواء .دخلت نبعا اسودا به خيوط كرماح تنشب فيّ وتكبلني عن الحركة .إنها تدخل في لحمى بسعارحتى تلاقت .انا هيكل فارغ بلا لحم او عظم .امشي .. إن أتيت تاتيني بلا فيزياء .جفناي كانهم ستائر على مسرح ،ولا احد يشاهد والبؤبؤ نواة،نواة بلح،والرموش ريش غربان ينخفض ويعلو .هناك شىء يغلى كأنه الوان،تتبخر إلى سحابة والسحاب على الارض .أتحاور مع ذاتي لأعرف من فرقها ؟ما عرفاناتك ومعارفك وعوارفك منك ؟

الحقيقة لا تحميك من تدميرك،ولكنها تحرمك من العالم .لا رحيق بي ، لا حياة ،لذلك ينفر الجميع .حافظت على وجداني كثيرا حتى حدث ابوكاليبسي

و لذلك أريد الانتحار .اريد ان احدد فى مصفوفة العالم صدفة انتهائي وسط جبريات تخذل لاحدودي .اللاحدود التى لها المها ومسؤوليتها وأولها ترك العالم والوحدة والعزلة .من سيهتم بكائن وحيد مجنون سيذهب فى وحدته ؟ .انها شهوة الخفة اللانهائية الأخيرة .ترك الذات لسرد الفوضى .حز الشريان الأخضر وهو متفتح واخضر باهت .هل انا إبليس؟ابن ألم الله ليس ابن الشر .انه خالق عذابه وحاكاه كرد فعل .ففى أحيان كثيرة من كثرة الفناء نأخذ دروبا لكى نكفر بعلل الألم الوجداني .كانت هناك طيوف لى انا أيضا .طيوف الذوات التى كنتها التى كوّنت الذات .انه سلم للتكون لا ينتهى وأنا العطش المريد فى ذلك .طرت إليهم فى ارض واسعة جدا .متوترا .هناك شمس تنيرها هى فقط .وتذكرت طيفى الأحب من أنت يا صديقى الطيف التى تتابعنى دوما وتراقبنى ؟لم ابتعدت فى الأيام الأخيرة بلا وداع ؟إنى أحيا فى نسيجك وبين ضلوع وحيك .بعد أن بعت كل شىء بسعره الحقيقي ، البخس .وحملتنى المتاهات من اصبعي مدما .ماذا حدث لك يا طيفي الأحب ؟لما تركت جهاتى وذبت فيها بعد أن ذوبها الطواف؟ .لم غريزة الغياب ؟لم تفطر مريدوك الاوائل ولا تهتم بمآلمك ؟أنا حواريك الوحيد ،فقدتك محزونا بسكرات لغتى كلها وما أقبحنى وما ألألمنى .أين غربانك لتدفن قلبي ؟

خلعت ملابسي من هول الضوء أو أكلها الضوء لا أتذكر وطرت بلا أسئلة عن أى شىء .كنت أشعر بانسحار شديد ، لا ينتهى ، متجاوز ، مفتوح ومنتِج وصَحوِي .لم يكن فى مدارى أى ضوء،لا توجد أى حروف فاللون هو الأزل الأول والحرف هو الأزل الثاني .لا توجد لغة من فرط الشهود لسيطرة العين على الوعي،وانفتاحه للسكب الوجداني .

عرشه فى قلبي كان معنى الوجد،وعرشه فى رؤيتي كان العراء الكامل .

لم أكن أعي شيئا حولي في هذه الأوقات في المقهى ولم يأخذ الأمر وقتا طويلا لتذكر ما حدث الليلة السابقة التي كنت أريد أن أختفي من أى هنا ومكان،أن أعطي وجودي ووجود العالم للغة ،وأتبخر إلى ما لا يجعلني ذاتا أبدا،وقلت في سري :

أنا الجوكر جئت لأخرب العالم وأدين كل شيء فيه وبلا ذنب أشعر به لذلك .جئت لأن صدفة شاءت أو ألوهة تجلت على طين .جئت مروعا بعد كل حلم بالفناء.وتذكرت سابقا نثرا كنت كتبته " لولا كتابة الشِعر كان من الممكن أن أكون قاتلا عظيما .لولاه لأرتكبت بدلا عن كل قصيدة جريمة"

كنت أحاول أقتطع من حريتي للآخرين لكني لم أعد أستطع ،أن أعذر ضيقهم النفسي وعدم تخييلهم وقلة فهمهم للمتوحدين والمرهفين ولكني لم أعد أقدر،وصار ذلك عبئا كبيرا جدا عليّ. فالعالم يجعلك وحيدا وبعد ذلك يضحك او ينبهر من إنتاج وحدتك تلك .يضحك ان جننت وينبهر ان خلقت.

بعض الأوقات من الضغط تطفر في هاجسي جمل كتبتها سابقا أو ألفاظ كذهان يستمر لبعض الوقت منها ما يحدث الآن :

الوحدة كون لعوب يحبل بآلاف الأكوان الأخرى.

الآخر هو ما يُثِبت الوحدة فيّ.

التي تعددني الوحدة .تعددني وتهدد وحدانيتي. الذي يوحدني هو الآخر .

قالي لي عمر وأنا أشعل السيجارة :ها كم علبة سجائر اليوم؟

فقلت له بصوت خفيض:الثانية

فقال داود:إنه مدمن على السجائر،مدمن على كل ما يدمره ،ليتها السجائر فقط...

فقال له عمر:اخفض صوتك!

فقال داود:إنه لا يهتم لأحد

كنت أنظر لهم صامتا وأفكر، لا يفهم الإنسان المنظوم نشوتي بدماري ولذتي بها لا يفهم إرادتي في التكون من جديد كمجاز بلا لغة ،لا يفهم رؤيتي للعالم كلعبة هائجة للزوال.إن نشوة الخروج من الحد لا تضاهي أي نشوة أخرى داخل الحدود وربما هى كذلك بسبب أنها حضور كإله في الذات وفي العالم .

أردت كتابة الشِعر بشدة والشِعر فقط،لأن هناك ذروة قاتمة فى كتابة الشعر ، أكتب لذلك فقط ، ينتهى عندها الوجود ، ويكتمل فى سطوعه ، ويتضاعف فى وهبى القوة لقول الصمت فى خلال شرائح ، كل الكتابة تحريف لصمت ، صمت يطوف حول ابعادى..

الشعر بالنسبة لى حالة ، ليس موهبة ولا صنعة ، يعنى ممكن يكون أحدا لا يكتب ويكون شاعرا، الحالة هذه هى دمج المخيلة فى الواقعي وشد الوجود كله فى الداخل وإخراج علاقات جديدة ربما تكون سريالية وبها شهوات ، المخيلة تستطيع أن تعطينى مشاعر جديدة غير المشاعر الأساسية وأفكار جديدة ، الوجدان يخضع لها ،اغلب ما لدى مشاعر اهدتنى اياه مخيلتى ، من التأمل والقراءة والكتابة .. الخ ، اريد ان اخبر الناس فى الشارع انهم يحملون الوهه فى مخيلتهم الذين لا يعرفونها من كمية وضاعة التشيؤ وهذا العالم ومن يعرفها لا يستخدمها ومن يستخدمها يستخدمها فى الجنس فقط ..

لا أستشهد بالحدود فى الشعر لأنه خروج عن الذات وخروج عن الاتحاد معها إلى الهيام الخرافي اللامنطقي فى حضرة الباطن الذى يخبرنى دوما بأنى عاجز عن الوجود كلية به بسبب حدود العقل والوجدان ، لا يدرك الباطن ولا يدركنى الا عندما اتحطم على ايابه الي ، وراء الرؤية ، وراء فقده.

الشطح

تركت مخيلتى ومخيلة الخالقين الشاطحين المدديين التماميين الفائضين وإنتاجها لتَكُون هى أساس وجودى.ابتعدت عن المنطق والعقلانية لأنى وجدت فيهم قصورا عن فهم وإدراك مجهولى الذى أنصت له بأي اسم كان.أنا ذاتي بشدة وفى علاقة مع الله بشكل محدد طوال الوقت ، منعزل وجوديا وفكريا وتخييليا ووجدانيا ، مبتعد عن الأنا بشكل كبير وعلائقها مع الاخر وعلاقاتها ، ملتصق بالكلية والكيان والوجود والعدم المجردين.أعبر عن شطحى ولا أقصد نفسى الاناوية بل النفس الكلية التى تتسع لكل الاحتمالات فى الأفعال والآراء والأحداث والانفعالات.وصلت إلى هذا لانى تعذبت فى إثبات الأفكار ونفيها فى آن واحد من العقل ولأنى شعوريا فى بيئه باطنية مرهفة.تأملت حتى وجدت نفسى فوجدتها مبهمة لا تتصل بأي موجود ، نابشة فى هذا الذى لا يمكن ان يفسر ولا يمكن ان يُعلَّلَ.تأملت حتى وصلت إلى درجة إدراك ماهيات أدوات وجودى ولا يوجد مهرب من ذلك الا بالطوباوية أو بالانتحار.

ترك الوجود للمخيلة يجعلنى أشعر بمشاعر غير الأساسية، مشاعر فائضة مددية من اي ضوء فى نفس هذا الشاطح (أنا) اما الله او الطبيعة .. الخ ، لا تصير ولا تقتدى ولا يمكن ان تُمَنهج ولا يمكن ان تخضع لأي علمنة ولا إلى أي درب له نهج تأملي ، هى استمرار طويل فى عزلة لمدة طويلة ، لا تُكتسب من اي معرفة أو قراءة وتأتي بعد التيه الشديد الشامل الحقيقي والتأمل فى الأبعاد والتأمل غير التفكير لدى لأن التأمل يضفى مشاعر وأفكار وتخييلات أما التفكير يضفى أفكار فقط وهذا التأمل الذى هو عمل المخيلة يرمى هذا الشاطح إلى أماكن ليست لها إشارات للوصول لها ، هو يفق باطنيا فى مكان محدد به رؤية لبعض الأشياء ، لا

يعرف اين هو ولا كيف أتى وان حاول التعليل سيخرج من هذه الحالة ولن يستطيع الوصول لاي شىء، انه عدم الاحاطة بكل المدركات النفسية التى اخذتها والمدركات الباطنية على مر حياتى .

الإنسان الشاطح إنسان مرتبط بالطوباوية بشكل كبير والطوباوية هى التخطي والنفاذ إلى كل تعددات احتمالات الانسلاخ والتكوين والكونية المكتشفة أدبيا والتى لم تكتشف بعد والشطح يكون أدبيا بالصاق الأنا التى يعبر عنها من خلال اللغة بالكلية الإلهية نتيجة الامتزاج اللانهائي مع النبش فى السر ، لا السر ، لأن السر لا يدرك لأنه مجرد والمجرد يكون فى البين بين الماهية وبين ما جُرد ولا يختلف هذا الذى جُرد لأنه يوصل إلى نفس المنطقة ، الوصول للماهية والسؤال عنها من خلال الكثير من الأفكار والمشاعر يؤدى إلى الجنون لأنه يمسخ العقل وعندما يمسخ يهدد ذلك البقاء لأنه يدمر شعوره بالزمن والمكان فيبتعد الشاطح لكى يستمر فى لذة الشطح لا لخوفه ، لا أستطيع الإبتعاد أبدا .

لا يخاف الشاطح من التابو الأعظم وهو الحياة ، لا يخاف أن يموت أو أن يقتل لأنه لديه يقين شعوري بالابدية في ابعاد أخرى أو بالعود الذى سيكمل فيه بهذا الباطن الذى لديه أو بباطن آخر فى النبش، هذه الإرادة فى النبش لا تُضَاهَى، وتوازى لدى العادي قيمة إرادة البقاء والإرادة يحددها المطلق الذاتي الذى يحس ويستنفذ فى التأمل وهو أكبر واعي مظنون لديه القدرة الكلية والمعرفة الكلية أي هو الله .

الشاطح لامنتمي لأي شىء ولا لأي مجتمع ، هو مجهول يلتهب لديه إرادة فى البقاء للتصريح عن وجوده فى نفسه ، موجود فقط لكى يشعر أنه موجود وليس عدم ولكن بعد الوصول إلى هذه

الدرجة من الشطح يصير وعيه منتفى طيلة الوقت وفى الوقت الذى يكون واعيا فيه يكون فى مخيلته لهذا هو حي فى جو من السريالية طوال الوقت والسريالية فى معناها العميق هى المجاز أي الشعر ، لهذا الشاطح شعري حتى وان لم يكتب الشعر وأقصد بشعري هذه الحالة من الهيام ولأنه تائه فهو باحث بالضرورة عن كل شىء والتيه ليس عقليا فقط وأقصد التيه العقلي بعد الشطح وانتهاء مدته سيجر طبيعيا إلى محاولة التعليل والفهم ، ولكنه قد حسم الأمر بالمطلق المجهول الذى يذهب له لما يتأمل وهو تائه وجدانيا هذه الحركة المنتجة لمشاعر النشوة طوال الوقت ، اتخاذ اللاطمانينة والمؤرقات المعتادة عند الإنسان العادي اعتيادية ولا تؤرقه، هو كينونة أخرى بلا وجود أي غرائبية فى كيانه وبالنسبه له ولا وجود لغرائبية فى وصفه لاي شىء مهما كان غريبا فى عقول الاخرين لان بديهياته مختلفة .

هو من أدرك لانهائية معانى كثيرة وعدم العلم بها بسبب القدرة.أحمل المطلق من المخيلة والمقيد من الوجود .

قمت فجأة من المقهى،أردت الاختلاء تماما وحدي،آخر الطريق للمقهى هناك أراض زراعية ولا أعلم أنتظر لامفهوما واسعا آخر في العالم ،أنتظر غواية خارج الوحدة ،لكن يكافئني التجريد دوما بالعدم.

الكلمات كانت تضغط عليّ جدا أو الرغبة في التعبير عنها في وجوههم ليست على الورقة رغم أني سأُنعَت بالجنون واللبس من الجن إلا أني لم أكن أستطيع كبت هذه الصرخات في داخلي.

حجب وجوده وعرّى دلالته

حجب نفسه وجهر بصوره

حجب ظاهره وأطلق كنهه

أسر شموله وباح بتأويله

ذاع كماله وستر وحدته.

كل شيء خُلق ليتناغم معه

ليتخفى فيه فيخفيه ولا يردعه

كل شيء هو هو إن كان هو هو

كل شيء في رواق مشيئته لفردوسه حتى كَفُوره الحقيقي

كل شيء كَرَهَه كرِه فيه وحدته ونأيه

كل شيء في حَجرِه هو

وكل شيء في حِجره طفلا.

كل شيء أسرف في معناه وصله حتى ولو عصى

حتى ولو شارفه واختفى

حتى لو ذبح ما تمنت دمعته ومضى.

حويك خيل يقفز في حضني يا إلهي

وأنا مسترقا قدرة شهودك من وجدي

رغم عجزي على تشوف القدرة.

يا حلمنة كل شيء

ضد مخلوقك الفيزيائي من أكوان

أركض في جوف كل شيء مزدنقا به

وأتمنى أن لا أَرى خوفا على ما سأرى

فزِلنى بقسمك على الشِعر بالغواية التى من جنس الثرى.

وحولي يضحك الناس وبعضهم خائفا مني ويقول الشيوخ لداود وعمر خذوه من هنا فقاموا يحوطوني وداود يصرخ "ماذا تفعل ؟هل تريد أن ينعتك الناس بالمجنون بعد ذلك؟"حتى قال عمر "اتركه،سأخذه للبيت "وشدني خارجا بقوة فقال داود"هل شرب شيئا أو دخن أيه مخدرات؟"مشينا بضعة أمتار حتى قلت له "اتركني سأعود أنا وحدي للبيت"لم يوافق أولا ولكني ألححت عليه ودفعته بعيدا.

رغم أن حضور الآخر الطيفي حتى يجبرني على الذهاب في مخيلتي لأشياء من غير الممكن الذهاب لها بدونه وبدون وجوده البسيط حتى غير المتفاعِل معي.ولكني كنت أتألم بشدة،وأعقد ألم ممكن هو الألم الذي لا يمكن أن يستهلكه أي خلاص جمالي وهو الألم الفوضوي الذي يتكون بعد مدة طويلة من الآلام الأخرى، ألم فقدان الهوية ، كأن الألم يفقس ويفقس فى الروح اغترابات نتائجها ليست مرحلية بل دائمة.نحن البشر الغرباء ذرية الألم،لا نكبح بيولوجيتنا تلك،في أمدية خلقنا للعوالم الذاتية،جبلتنا الوحدة على التعبير،كصوت خفيض في هاجس الألوهي.

أريد دوما الهروب من الأمكنة والأزمنة والأشخاص ومسؤولياتهم إلى وحدتي الغريبة القوية ،أن أنفي الوجودات الذاتية والغيرية،وأحوم حول الازرق في العماء الملغز في السماوي.

بحثت عن الديلر في كل مكان وأنا سائر،لا أنشد الحشيش بل الهيروين،ولا أنشد الهيروين إلا لإجبار ذاتي على النشوة فأنا أصِل لنشوة الهيروين بدونه فقط بالموسيقى أو التأمل لكني مليء

بالضغوط هذه الأيام فأحتاج إجبار للخلايا ففي النشوة بالهيروين يتلاشى الوجود الذاتي،كأنه انقذاف صوفي وفناء في المطلق.تنتهي تاريخية الذات وتحيا في الآن نفسه فقط،كأن النشوة نزوة بالوجود بتكوين آخر، وتؤثر النشوة على مدى الألم القادم كما يؤثر الألم على مدى النشوة. فنشوتي ابتعدت عن الأنا وأصبحت لا تعتمد على آخر وإن استقلت نشوتي عن العالم استقلت هويتي عن التقييد به وإرادتي في معلومه وفيه.أنا وحيد في رأسي بالنشوة،النشوة تزود الوحدة،فلا شريك للذات في النشوة إلا مُخيَلاتِها.

النشوة تجعل الأرض مثارة فتختفي.رغم أن هذه النشوة تدمرني على المدى الطويل لكني لا أنشد شيئا بدماري للعالم ولذاتي سوى لنشوة تقنعنى باللاخلاص.

التشبع الفاشستي بالوحدة يفوِض الذات بقوة إلى الخروج عن حدود معقوليتها ومسؤولية تلك المعقولية الى جموح لعالم بلا سلطات في الرأس كل شيء فيه معكوس في مرآة الذات.

كانت الوحدة في البداية عالم رحب وسلامي و دليل على أعمق الجماليات المبهمة، ولكن هذه الأيام تتناقص المشاعر التى أشعر بها مؤخرا إلى شعورين ، الوحدة المظلمة والنفور .الوحدة مهما كنت بصحبة الأشياء أو الأشخاص أو الجماليات الطبيعية والنفور من كل شيء أحسه أو أحدسه .الوحدة السلامية الرحبة الأليفة التي تكشف الشغوف انتهت وبدأ طور الوحدة المظلمة خالقة الانهيارات.

الديلر صديق قديم كان يدرس معي في المرحلة الابتدائية ،يعمل سمكري وفي النواحي تلك نادرا جدا الهيروين لأن لا أحد يتعاطاه فالحشيش هو الشائع ولكنه كان يأتي لي به خصيصا ولكني لا أعلم أين ذهب؟هاتفه مغلق،مشيت كثيرا لاتنفس هواءا نقيا بعيدا عن كل

ما حولي عسى أن تخف رأسي من الجنون والأسئلة.لم أكن أنعت شيئا بالغريب لكني فعلا غريبا بالنسبة للناس والغرائبية عدوان حر على الدلالات أجمع،تهيجها ضد خالقيها ولا تقتصد في تحرير وحدة صاحبها.

فكرت في الانتحار عادة كتفكير دائم وأظن أني لم أنتحر بعد ، رغم رؤيتي السواد المطلق إلا أن هناك تشوف بُعدِي بالنور،الشخصية التي أَحِل فيها لرؤيتي من فوق كنظرة أخيرة ترى العالم به نور بتجارب أخرى ،وهي شخصية عبثية لا أعرف مكوناتها.ولكن ذلك لا ينفي أن الرؤية السوداوية هى الرؤية الانقى والادق للعالم لانها لا تريد اي شيء منه.

نظرت للمدى نظرة عوز وحاجة ولكني لم أجد شيئا يعزي،لا أحد في المدى يجفف السيولة الشديدة واللامعيارية المطلقة ،لاأحد.ولو أردت التصلب والتجمد فارقت هويتي.وحشة تكتنز وحشة تكتز وحشة،ومدد أسود من جرح المعنى بالنفي،أشاغب ذاتي بالكتابة وأمتحِن ضوءها.

فكرت لم أنا وحيد هكذا؟ رغم أني أستسيغ الوحدة كقرار شخصي ليس كجبر من سُلطة غامضة أو واضحة،أستسيغ كل آثارها من بشاعة،أختار الألم فيها على البله خارجها،وأستلذ بالألم كعرصة لوعيي .

أَرحَب من العالم وحدتى وأكثر رحمة ومقاربة لجِنس الموت وأقل تكرارية في النَظم.

واللغة تلك التي لا يفهمها أحدا تفرقني عن وجودى الواقعي ، تحضِر وعيي بالوجود المتخيَل لى وللعالم ، إنها آلة الزمن مع الموسيقى والشكل العنيف للحضور .

اللغة ولدت سِيري التى لم أحياها بطواعية التكوين بتسريب انسلاخاتي المتعددة،اللغة أداة انسلاخ لكل الأنماط واللاأنماط.بشجن استهلاك عرفاني وألم تكوين جنوني.

كنت أكتب لأن اكتشاف الذات من خلال الخلق هو بالنسبة لي أعمق اكتشاف وبالنسبة لي بالكتابة والكتابة بالخصوص لان العالم كائن لغوي والتفكير عملية لغوية ولا أقصد أن المعنى في اللغوي فقط بل اللغوي أكثر انتشارا للمعنى.

ورغم أن لي لوامس تمتد إلى ما لا أعرف،تأخذ من المدرَك البعيد هويتي وتعود كافرة بما أخذت ،قلبي به عدم مطلق. قلبي بؤبؤ الكنه المتسع للعماء ليراه حتى. عصيت جلدي ،عصيت النور الصافي،وسلخته بأخروي عنيف حيث أنا ذرة عارية لها غرائز النهاية.

أتأمل كثيرا فى سياسية المتخَيّل ، هل هو سلعة الوحدة الوحيدة ؟ أم أن الوقوع كلها انعكاس تأويلي له ؟ هل يمكن أن أستشهد به على وجودى ؟ هو القوة الكبرى ضد تشيء قلبي .

المجاز في اللغة خصوصا هو خالق العالم المتفوق ، لأنه ينشيء كونا دلاليا للانسان بلا نسب ، يحاول الإنسان ملء مدى المدلول بالاسئلة أو التأويل لذلك لا ينتهى المعنى.ولا أحد يصدق أن كل اللغة برهان على لاملموسية العالم، كل اللغة لتغييب المنظور في قعر الفكر،كل اللغة للتحرش بما تراه عين الخبيء.

جلست على الرصيف وبدأت بالكتابة في مذكرات الهاتف لها رسالة

"عزيزتي:

لم يكن علي فعل كل ما فعلته على الإطلاق ربما،فقط كان علي أن أعجل انتحاري سريعا،وليس الأمر ردة فعل على أي شيء سوى على سواد الجوهر الفوضوي.

الأمر الحقيقي أو وازع الأمل المطروح من العالم هو التجارب التي من الممكن أن تنفي هذه الأفكار والرؤى بسوداوية العالم ولكني أتلقى ذلك لأني دوما أصبح آخر.أي إن تخليت عن هذه الرؤى فأنا أتخلى عن ذاتي الحالية،وأصبح ذاتا أخرى لكن تاريخية المشاعر تأصلت فيّ.

أظن أن الانتحار نوع من الموت البارد السطحي بالمقارنة مع عدد الميتات الأخرى العميقة من وعي يُسائل نفسه دوما عن كل شيء ويَنفي ويُفني نفسه مؤخرا.

بموتي أودع الوقت

وأعود للأزل الحميم

بموتى أهجر الجهة

وأزدلف من الضوء

بموتى ترحل التناهيات منيّ

وأكون الملأ الأكبر

أكون الموحِي لمستوحيين كثر

بموتي يقرأني ما نحته من كائنات في لغتي.

ما أكتبه لكِ ليس غزلا أي ليس به نسبة شك في باطني لكي تعجبي أو لا فالأمر سيان لدي وأقصد بسيان لدفع التوقعات المتأمَلة وتغذية الحقائق السوداوية.

قلبي مخنوق مثل معناي ومثل أفقي العالي الذي أذهب له كل يوم ،أفقي المُشَكل من اللغة فقط لا الواقعي.في الواقع أنا صفر مقموع وفي المخيلة أنا مطلق حر.

الألم أكثر شيء يغير الشخصية لأنه أكثر شيء الكنه حساس له. الألم أعرق من الأزلي ،إنه الصيرورة الفرحِة دوما.

الآن أنا أتألم،وأفكر في شخصية الشاعري ، شخصية الشاعري هى الشخصية الأكثر تعقيدا بين الشخصيات الخلاقة وأعتقد ذلك بسبب اللاعقلانية المفرطة والتأويلية المستمرة لإنتاج الجمالي الذى يراه بقلبه ولا يجده بعقله ، وهذا هو الانفصام الأول.

الشاعري هو المرآة الأرق والأكثر لانمطية فى العكس وعذابها حداثيا بسبب طرد المطلق من نطاقها النفسي والتخيلي والمصيري. وذلك للألم الحاضر فى قعر كل شىء وعدم وجود طاقة للثورة على الحدود الإدراكية والمعرفية أمام هذا الاتساع الرهيب لدلالة السلطات ودلالة البيع والشراء .

لدي من أصعب ما يمكن التعايش معه هو المصير المتخيل للنهاية بالانتحار أو الجنون وهذا يستقطب من لغتي الكثير ويغويني أيضا كونى سأكون عاجلا او آجلا بخواص الجوهر والخوض الذى اخترت جزءا منه للسير فى جوانيتي .

الشاعر هو الأكثر استخداما لذاته كمادة للخلق ولذلك هو الأكثر ألما حتى وإن كان لديه أمل ما،لأنه حتى لو كان لديه أملا فهو يستبيح شرف ديمومته التى تقوم على الغامض.وإن لم يكن وهو رد فعل واقعي للجوهر الذى هو له علاقة مباشرة به من خلال وجدانه المتطرف فى الشعور بكل شىء يتبعه متخيلا.

سابقا كانت المرئيات محدودة للتخيل فى البشاعة ،أما الآن لقد تطورت قدرة الإنسان حتى على الخلق والألم والبشاعة.

إن المادة للأسف تتطور بشكل هائل ولكن المعاني لا تتطور، إنها نفس الشيء ببعض التحديث الفلسفي وما أكثر ذلك ألما.

الآن التخييلات تشتد بشكل رهيب،الكادرات واللوحات والتقلبات بين المعاني والأفكار،كعالم ذهاني كامل لا ينتمي لنظم أو سيرورة.

وجهكِ معلق يتأرجح ،تشترك ملامحكِ مع الوعاء المكاني وتحيا في منحوتَه كل أشياء وشخصيات العالم لكني لا أستطيع الرسم ،واللغة ريم عجزي عن ذلك.

قلبي مفتوق من العالم أعترف ولا أذهب لكِ كمفر أبدا ،رغم أن كيمياء المفر هي حوي جميع علوم السيكولوجية ولكن الأمر أن المفر حتى الخيالي ليس حرا من العشوائية ولا أعلم هل العشوائية خالية من الصدق والحقيقة أم ماذا بالنسبة لي؟

لست خائفا من ردة فعلكِ ولا من فعلي ولا أقصد بالخوف هو رفضكِ لي أو ألمي من ذلك بل أقصد بردة فعلكِ رِدة المعاني في قلبكِ بلا جنسي بلا انتمائها لي، أما أنا فمتعود على تلك الآلام الطويلة وتلك النشوات البسيطة في تشوف ردتها.

انجذبت في زنزانة الوحدة

بالمهرَق من النور

طفت فغبت

سكرت فشهدت

وتألمت ليكتمل السطوع

فيا جاذبتي

المحسوسات سواكِ الوحيد

والمجهول دار الروحي.

أكتب لكِ ولا أعرف إجمالا لما أفعل ذلك ولكني أحاول أن أعرف،ربما كلها أشياء لامنطقية فنحن نداوي المنطقيات باللامنطقيات دوما في حيواتنا وهناك لامنطقي إجباري غير البُعد الديني للعالم،هذا اللامنطقي هو أن العالم لم ينتهي بعد لان مجهوله لم ينتهي والمجهول ووجوده يفرد لامنطقية موجودة دوما في أفعالنا وأفكارنا وشعورنا.

ألاحق الطريد من الفيض

في زبد السديم المحتشم بماوراء عينكِ

ألاحق التجلي والجذب والصلوات المحرمة للألم.

وأمشي في دروب العالم لأعرفكِ

كمرآه سيارة تلتقط الجواهر.

أزداد شبقا بالجنون من النظر فيكِ

فبه حبكة كونيتي الأخيرة.

متى يختلط عرق مخيلاتنا

وتتزامن نشوتنا الشاهقة؟

أطوي الضجر والخطيئة في خزانة الروح الطويلة

ومع ذلك أتوق إلى ما تحملي من عوالم في أدراج أحلامكِ اليوتوبية

سننهض من البئر إلى السديم أخيرا.

أحاول أن أُعلمِن حياتي كلها ،أحاول منطّقتها،رغم الشاعرية الأسطورية فيها والانفصام بين غامضي وشعريتي وبين عقلي الشديد التجريد الذي يجعل حياتي جحيما بلا أية إيمانيات،الإيمان يفرد طمأنينة حتى ولو كان إيمانا بالجحيم.

أجلس على رصيف غريب في نفس غريبة ولا أحس بجسدي كله فعليا وأصبح يتكرر ذلك كثيرا أن لا أحس به،بعد الغطس في مساحات بعيدة ،بعد تجريد موضوع معين،أنفصل عن الموضوع إلى التجريد نفسه حيث لا وظيفة للتجريد بل هو الغاية نفسها.

استسلمت مرة لتلاشي البرازخ بين عقلي والغياب

في سكر معتم بمحصول الآلام

أخذتنى أياد إسفنجية رخوة

وانسبت في بُعد فردوسي للعالم.

أراكِ حولي خارجي، مُركَبا وجهكِ على السائرين جميعا في الشارع وأفكر أي الإدركات حقيقية ،إن كان السؤال منطقيا**!**،أقصد إدراك الطبيعي أم أدراك المتألم أم إدراك الهيرويني أم إدراك العاشق أم إدراك المجنون أم إدراك المطلق ..

وسط هذا التيه يتكون انسحار بسيط بالانتقال بين الإدراكات هذه وليس الإنسحار بالانتقال بل بإدراككِ بشتى هذه الإدراكات،تذوق الكيان المُطَّيف به،كيانكِ.

بي طاقة عوالمي السوداوية

وأمل غوامضكِ أيضا.

أقول لذاتي "ستبقى غريبا ما دمت ترى الجواهر

وتدرِك علل تكونها وعلل زوالها.

إدراك علل كل شيء يُفنِي فيك كل شيء إلا التجريد المطلق."

أنا أفقد الشعر مؤخرا،أفقد المجاز بسبب الهلاك النفسي من الآلام، لم تعد لدي ثقة في دلالة الكلمات،رغم أني الآن أكتب لكِ وأَتألَه على اللغة ولكنه تألُه وهمي لحظي وبعد ذلك أدنس اللغة نفسها بالصمت.

اللغة كائن واقعي يدمر وحدتي.اللغة كائن خيالي يُعاضِد وحدتي.اللغة كائن ميثولوجي يؤلهني.اللغة كائن عدمي يُصفِرني.

أرسلت عقابي للعوالم في الكلمات

أرسلت شوكي وأزهاري

وسأستريح للأبد في الألوان التى لا تنتهي.

المطلق الذي كونه العالم حاليا هو المادة بعد تصور المطلق الديني وهو المطلق الذي استلبه الإنسان من مطلق الشعر والفن ،لكنه مطلق لا وجود له بل دلالة، كونه غير فاعل وغير حادث بنفسه أما المطلق الجديد المادة فهو تأله من إنتاجية وهمنا وخرج عنا وفارق وصار.

أظن أن كل نظريات الخلق الدينية أو غيرها هي شعرية في المقام الأول فنحن غبار نجوم واستعارة لحريق للشمول،غبار عشوائي لا يسكن وأقول لكِ ذلك لأني لا أشعر بإنتماء إلى أي أنا داخلية ،هناك

لاانتماء حتى عن كم الأنوات التي كنتها،لامركزية أناي المجهولة، وهذا ثقل كبير علي ولكني أظن أني لن أفلته أبدا لكي لا أصبح ذاتا مجرورة على العالم.

الشِعر يأكل الحياة من داخلي،يكثِف المعنى ويستلبه،يُكثِف العالم ويستلبه.

عيني أصبحت تخسِف بكل خضار

وعقلي يسمم المهد والمثوى لكل شيء.

لتفنى العوالم وتُستَحدَث

فوجودي سيظل عبثا.

زِفي المجاهيل والغوامض لعين قلبي

لتؤنسني في وحدتي الكريهة

وفي أوقات الطرد من العالم

والمجاهيل: مدركَات ليست كاملة المعلومية

أدركها مشوهة منكِ

والغوامض:برازخ بين الأفكار وعللها.

بكتابتي لكِ

أمشي ضد من خَلق ومن خُلق

لوحدتي

بريئا من كل القوانين.

قلبي يختلس النظر على العالم وعليكِ من ماوراء مراياه الكثيرة

ليجد طعما اخرا لكيانه فيه ولا يجد

قلبي يشحن الكنه بالتجسد والتمثل.

كنت شاعرا للوحوش في البراري

أكتب بواطنهم وبواطني،

ولم يسمع تغريدي سوى الطيور

لم يسمع قلبي أحدا آلى.

يمكن أن أتخلى عن كل شيء

إلا عن بالونة المخيلة الطافية فوق كل شيء

لأن بوجودها أحبل بكِ

وبدمارها أحبل بطيوف نثاركِ.

اشتهيت منكِ فيكِ كله

ولم اشتهي منيّ شيئا

فتكثَري.

مسافرا

في شتى العوالم

وخطوتي الوحيدة تتوق فيكِ.

أكتب بوح الأشياء بجنونها

في لحظات نمو انتباهها إلى مواتها

حتى وإن صلبتنى ماهياتها في نهايات القصائد

وكناي

في خواء

يترنم للترنم

ولحرث ذاته بالعمران

أنا؟

الماوراء من خلق عارف وحيد حزين

يمشي في البعيد وحيدا

وقلبه به نكهة الرمان

ملقيا وجوده على الغيم

ومستنبِطا من الألوان السماوية نشوته.

أَلقَى في ذاتي كل الكون

وأفقد في الكون كل ذاتي

بوحي كل ما يتكون عنكِ.

مهجورة عين قلبي من مُتولِهَتها

تركض فى أي مرئي

لتستوضح أي طلل أو طيف لها

تعود خاسئة وفى بياضها شحوب أكيد للحقيقة.

لا يتم شيئا..."

مشيت للبيت،المنفى الأبدي، البيت الذي دلقته ودلقت دفئه على العراءات الموسومة الفاجرة بالصقيع،دلقت التفاصيل الغريبة،دلقت أنفس تغرق البحر على ورقتى،دلقت سقاة للسقم، وسطّرت سبخة الابوكاليبس،فالكتابة دمرت كل الثوابت في عيشي.

أحد ما يصرخ داخلى الآن،يريد تحطيم كل شىء حولي وفيّ .

عدت للبيت كانت الساعة قاربت على الثانية عشرة ودخلت مباشرة للنوم،استيقظت فى الثالثة فجرا،وكليّ غضب بعد نوم لساعتين كنت فيهم شديد الاضطراب،وكليّ غضب فى إفنائي وفى الحياة فى الخراب،حيث كل شىء يشبهني ويشبه داخلى .

كل شىء حولى ضد الشعر،كل أحد ردته وشئته ضد الشعر .

أقول لنفسي كفى شعرا كحياة .كل شىء ضده ، لم تتمسك به ؟

أسير فى حقل قمح أصفر وأصل فى النهاية لضفة النهر .

كفى حديثا مع الطبيعة وخيالات .الطبيعة أيضا قوة لا تكترث لك ولا لإرادتك .لم خُلقت هكذا؟ لا تُروى مهما رأيت وشهدت ونفيت وأدركت ووعيت وهتكت ونفيت.توحدت فهجرت الكل والذات ولم تنتظر خلاصا من الاخر المارق ولا من الاخر الوجودي .نفسي دخان الآن .مضجعا على سريرى وملتحفا

عيناي ترى بوضوح قبل أن أسكر وأنتشي ،ولا شىء أمامى سوى مجرى ضيق أزحف فيه،أتنفس بصعوبة فى وحل ولكنى لست مضطربا من ذلك،ولست خائفا من ذلك بل أشعر أنى حي بالكابوس .كابوس اليقظة المتعدد والمختلف .بطنى بها بعض القروح التى تجعلنى أتقيأ،كلما دخنت سيجارة ومع ذلك أدخن حتى أتقيأ وذلك بسبب التدخين وتدخين المخدرات على الريق

بدون طعام وشراب .لم انم منذ ثلاثة أيام .أنا اكتب الآن آخر ما سأكتبه قبل انتحارى.ولا يوجد فى رأسي أى شىء على الإطلاق فقط أشعر بصمت رهيب،صمت كل شىء رغم الضجة حولى،ورغم الحفيف الجميل للسكين وهو يحز الشريان .القلم لا استطيع أن أضغط عليه بشكل قوي،لكى أكتب لذلك الكلمات تخرج منحرفة ومتداخلة .أسمع أغنية لدرصاف حمدانى من شعر الخيام.

قصتى كغزال وكذئب فى العالم .الهويتان،الهوية البدائية الاناركية العنيفة والهوية الشعرية الرقيقة .الأولى لم أستطع التخلص منها بأى حداثة أو بأى تقويم روحي،والثانية تحققت فيّ من الألم.

لم أعد أستطيع الجلوس في البيت،لم أعد أشعر بالراحة في أي مكان ولكن في البيت يزيد القلق بشكل كبير،لا أعلم هل لأنه منوط بالطمأنينة ولا يُشع ذلك فأحس به جدا؟

البيت فرغ تماما، واعتددت ذلك البؤس والفقد ولكني في كل مرة أعود إلي السؤال الجوهري لكل شىء ، الانتهاء .أن أفقد مع الراحلين ما ادخرته من حقائق مشتركة .أن لا تدخل دلالة أخرى من باب المعاني ، أن تنتهى ديمومة المعنى المقذوفة منهم بوجودهم المجرد.

يدفعنا الفقد لنكون مسوخا ، يخلقنا أطيافا بمضمون آخر غريب ، بترهات لاقانونية فى الوحدة ومصير محتوم بالتلاشي والكآبة . الفقد الصارم النهائي الذى لا يجعلنا ننتظر شيئا ثانية لننام فى حضن الصمت والخرس والضجر المتصلب فى أوردة أنفسنا .

بعيون تدمر كل ما ترى وعقل مدمن على النفي وروح تنأى وتنأى وتنأى ، تنطوى مشؤومة محرومة من أين دفء واحد ، مستهجنة كل العالم وهائجة لعض جروحها اللامرئية .

الطفولة هى كل ما نملك ، مشاعرها وافكارها وحكاياها الزاحفة فى الذاكرة ، وصحائف الشفق فى المدى البعيد ، معانقة الضوء للزهرة ومشهد الاطفال وهى تلعب فى حارة أمام البيت .

إننا حشد كبير، وشساعات خربة لم يبقى فيها أى أحد سوى الدراويش الوحيدة الصادقة فى وجدها للكون .

إن ما يُوهن فى كل هذا الخراب هو نأى المحبين المكاني ، نأى الأرواح المرهفة الطليقة المشابهة ، نقص الادلة على جمال هذا الخراب وتناسق الالام لتكوين الحبس الابدي فى الوحدة ، إن ما يُوهن هو عدم احترام الالهه ولا العبث لوجدانيتنا .

كان قلبي هو المقدس الوحيد لدي .كان مصدر التأويلات جميعها حتى وأد العقل نبعه وأحاطه بشبهة الوهم المستلبَة من الدلالة السائدة في العالم .كان قلبي قلبي .الآن هو مضمّن في خراب الملأ كله ، الآن هو إشارة لعراء يموت فيه كل شيء .

خرجت ولم أعد أحتمل حكايا رأسي،مشيت تائها لا أعرف أين أنا ولم أزيل المكياج للجوكر كانت الساعة قاربت على الثالثة صباحا،جلست على كوبري القرية فوقي شجرة مليئة بالغربان ونعيقها،لم يكن هناك أي أحد وكل فترة طويلة تمر سيارة على الطريق.

بعد نصف ساعة من الجلوس أتت عربات كثيرة وعليها أعلام،إنهم الدروايش أتوا لإقامة مدح وحضرة في القرية الأيام الثلاثة القادمة،كنت أراهم منذ الطفولة يفعلون ذلك،وقفت أنظر بشغف وتأمل لهم،وقفت وقلبي شرحه المعنى فيهم،استغرب بعضهم شكلي ولم أكن أخذ بالي من ذلك حتى مشيت بجوارهم فتمعض البعض فقال شيخا منهم :إنه عبد من عباد الله،لا تنبذوه.

كانت تنشيني نشوة وجدهم في "هيه"والموسيقى في المدح،النغمة، رغم أني لا اطمئن فى العالم ولا وحدى ولا وسط

الناس.أشعر دوما باختناق والاختناق يزيد وسط الناس بشكل مطرد ومرعب لدرجة تخيل أحيانا لاإراديا رؤوس الناس رؤوس خراف.

لكن مزاجي يثبت مع الموسيقى لا بالشعر،لان الشعر مدرَك لغوي بينما الموسيقى مدرَك نوراني.

تذكرت فينوس وعدم رغبتي بعد في محادثتها ولا في التعبير عن ذلك لأن الألم هو ما يجعلني كافرا بكل شيء حتى بوجدها ،هو ما يجعلني أزحف لفراسخ لانهائية عنها وجدانيا وعقليا وتخييليا وأبني متاريس من مواد الزهد وأزحزح ضفافي للبعيد الأزرق.

مشيت معهم حتى وصلنا إلى مبنى شيخ البلد،الذي يقيم عنده الدراويش كما كانوا يطلقوا عليهم أهل القرية،

الغيبة الأولى للانفصام

لدي انفصام مرضي حاد يجعلني أكون أحدا آخر أغرق في الميثولوجيا كثيرا،ارتعش جسدي وأغمى علي وغرقت في عوالمي وحملوني إلى البيت بعد السؤال عن هويتي

" دخلت بغنج وهي تسقط ملابسها قطعة وراء الأخرى،إنها فينوس، وأنا أنظر لها بتلصص وبوضوح وأدخن سيجارتي.أتاني أبي كطيف ولكني لم أعره انتباها كوني أضر بروح المكان الطاهر في رأيه.دخلت ورائها كانت عارية شبقة مصقولة كرخام ومحبوكة كسكن ،كانت عيناي تُنقَض كل مرة بجسدها المليء أردافه ونهديه عن الوحشيات الخيالية ولم أتوارى عن الاقتراب منها ولا عن التعبير عن الإثارة الكبيرة،بدأنا بالقبل حتى دخلنا على السرير وحملتها كان وجهي في مواجهة النافذة وهي تحتى حتى رأيت الطيف مرة أخرى،فارتعشت وخرجت من السرير أنظر

فقالت لي "إلام تنظر؟ لا شيء هناك ولا أحد يرانا"

فقلت لها "لا تري إمرأة هناك عند النافذة "

قالت "لا أحد،هل جننت؟"

قلت لها "البسي ملابسك واخرجي"

فقالت "لم؟،أنت حقير فعلا ؟،لن أتي إلى هنا ثانية"

وكانت تسبني وهي راحلة حتى أغلقت الباب وأنا كل ذلك واقف عاري أمام الطيف ،أنظر في عينيها ،حتى أدرت وجهي فأتت إلى الغرفة

وقالت لي: لقد عطلّت عليك جنسك!،كنت أريد أن أشاهدكما معا

فقلت لها: لم تريدي مشاهدتنا؟

فقلت:لا يهم ،المهم هل تريد معرفة قصتي بما أنك تحب حكاوي الغرباء؟

قلت :نعم

فقالت:أنا من وادي عبقر ،هذا المكان الأسطوري الذي كان العرب يعتقدوا أن الشعراء يُمَسون منه،نحن مخلوقات غير الجن والإنس والشياطين،مختَلَطين منهم جميعا ،من أسافل الأرض ،نسكن مخيلات الناس ولاوعيهم فهذه أرضنا المتقدمة على أرضكم،وكل ما تخترعوه خياليا يتكون في عالمنا

فقلت لها: لم خرجتِ لي أنا بالذات ؟

فقالت لي:حنثت بعهدي ،نحن لا نخرج لأحد لكن ما تراه وما يتكون في أرضنا تبعا لذلك غريب جدا،كل أهل عالمي يخافوا ويتعجبوا من رأسك ،لا تخاف لن تجن ،لا يزول من جُنَ

لا يَكُون من عَقِل.

لم أكن أعرف ماذا أقول؟ وشعرت أني عاريا جدا وكنت أنظر فقط في عينها وأستزيد في الرؤية حتى وجدت كأنها عالم يدور فهي ليست ساكنة كعيوننا. ولكن كالعادة يجب ان أخطو إلى لعنتي وأعضها وأطورها إلى نشوة تؤلف لي ابتسامة وجحيم.

فقالت: هناك أرواح أخرى في العالم غيركم،لستم الأرواح الوحيدة ،ألم تشعر بهذا ولا مرة في حياتك؟

فقلت:شعرت بذلك مرات،أن هذا العالم ليس لنا وحدنا،ولكني لم أكن أعتقد أن يُفَسَر ذلك لي شخصيا !وأنا لست ممسوسا بالشِعر فأنا لا أحبه بتاتا

فقالت:ستكتشف أشياء أخرى أظن ذلك مع الوقت عن الشعر والتفكير الأسطوري

فقلت:أنتِ تعلمي الكثير عنيّ!وأنا لا أعلم أي شيء عنكِ!

فقالت:أستغرب أنك لست خائفا منيّ،لم لا تخاف؟

فقلت:ولم أخاف؟

فقالت:أنا مفارقة عن جنسك،تكونت بسريالية في عالمك،والغامض له سطوة على المعلوم!

فقلت:أنتِ غواية فقط !

جربت أن ألمسها كانت مثل الصلصال ،وإن ضغطت يثبت التشكيل أكثر،نظرت في عينها فقالت:لا تركز كثيرا حتى لا تتوه ،نحن بطبيعتنا غاوين ومتلاشين

فقلت لها:التلاشي مثل حبكة المعنى ،أريد أن أذهب إلى أرضكِ،حيث ما تخيلته سأجده وما تخيله جميع هؤلاء البشر

فقالت:هل أنت مستعد لرؤية مكبوتك كله؟إن الأمر هائل وقد تجن أو تكون نظرة أخرى عن ذاتك فكل ما تخيلته أو حلمت به موجود وكائن

فقلت لها :نعم مستعد،كيف نذهب؟

فقالت:ستغمض عينك وتدخل هذا الكون المسحور الذي يظهر لبعض الناس فقط

فأغمضت عيني ووجدت نفسي في أرض لانهائية الوسع،لانهائية التشكيلات الفنية ،لانهائية الكائنات المسجونة الغريبة،كانت هي بجواري وأشارت لي على قفص هائل وقالت "هذا هو تاريخ

مكبوتك كله ومتَخَيَلك"مشيت ببطء أنظر باندهاش ،حشود من الأشخاص وحشود من المواقف تدار أمامي بتكرار وبلا توقف.أحلام وقفت أراها وأنا كائن فيها ولا أتذكرها،والملكوتات السحرية الأولى في طفولتي كذلك وشجاراتي مع أبي وأمي واشتهاءاتي وأحلامي الإيروتيكية مع الجارات.كان لدي إحساس غريب بالرغبة في الاختفاء،من المتن للآن الحالي.أنزع الروابط مع كل شيء وكل أحد وأكون غريب مطلق بلا ذاكرة أو مكبوت.ومع ذلك كنت مستمتعا بالحضور ،كان عالما غريبا رغم أنه عالمي،لا يمكن أن يُحصَى الإنسان فعلا ولا يُمكِن أن يحد.هذه الأرض أرض تيه رغم أنها أرض عودة لكل شيء،أرض مغارف للممكن.ينتباني شعور وفير بالشغف والانبهار للاطلاع على مكبوتي كله ،لتفسيري،لكوني أدري من أين أتى التفسير المنطقي لحياتي الآن وتفكّري وتفكيري.إن ما يحدث داخل السجن لا ينُقَض ،إنه يجري بتكرار ولا يوقفه شيئا.حاولت الدخول لتوقيف موات أمي فشدتني وقالت لي المرأة التي أسميتها كالمكان عبقر:لا يمكن أن تغير شيئا مما حدث وهذه السجون نحن أمناء عليها.عندها نظرت ورائي وجدت أشباحا كثيرة مصفوفة ،وجوههم تتلاشي وأجسادهم ،أخذوها وسجنوها في سجن وسجنوني في سجن وساروا ورائي وهم يقولون في خفوت"لم أتيتِ به إلى هنا؟،لقد خالفتي قوانيننا!،إنه أرضي،لقد رأى ما لا يجب أن يُرَى "ومشينا إلى بهو عظيم،كنت أنا مندهشا من كم السجون الموجودة في المكان وأشكال تلك الكائنات وصفات أرض عبقر.ولأول مرة يتكون فيّ كلام غير منطقي ،يتكون فيّ الشعر ،لا أعلم هل هو من تأثير هذا المكان ،لكني صحت بصوت عالٍ لها عندما رأيت يديها الطفولية على قضبان السجن "

تفيض يديكِ الطفولية بالكلمات والألوان

على بياض قلبي الوردي

بوخز الصقل النادر لربة الحكاوي الميثولوجية.

طيفكِ الآن من أهل بصيرتي

هذا الصامت المحتشم في المرأى العياني والعمائي

المليء بشبق الأسرار البهيجة.

إن ازدلفت منكِ تاه كليّ في جواركِ

وإن ابتعدت رافقت الموات والنهاية.

إن وصلتكِ شفّ قلبي

وإن هجرتكِ شف انتحاري والتردي."

وقفوا جميعهم واجمين وتوقف السائرين بسجني وسجنها وأخذوا يرددوا كلماتي ،يبدو أن ذلك أسعدهم فقالت لي:إن الشِعر هنا هو أقيّم شيء،هو لغة التواصل الوحيدة.فبدأت ألمح في رأسي لاشعوريا كلمات تتكون بشكل شعري كثيرا وبدأت أرردها على لساني ،كانوا يقفون كل مرة أصيح بهابالشعر مما كان يتيح لي استراق النظر إلى ما حولي من سجون بها حيوات أناس.

"أزرع القفار في الخضار

وأحبط الفجر الكهل أن يأتي.

أحارب كل الواضحات في معركة الكتابة

وأعادل حربي بفنائي.

وهذه النسخ الخاملة للافاق السوداوية المترعة في الخالب البعيد

أحييها بوفرة

وأضعف بتكوينها العالم وأطور نفيه.

أنا عالم من الأرواح الحزينة مدمجة بهيام ونشوة

كل روح لها رائحة أصيلة في معجم الزهور...

أجرش الدلالات

كنار تجرش الحطب

وأتقيأ بحار من المبهمات بعدها

لعل أحدا يحياني في زمن آخر."

قال لي من يحمل سجني عندما نظر لي "شِعرك حتى غريب،أنا خادم هنا،من الذي يلقي فيك الشعر؟،سيأخذونك لجد الوادي وكبيره،لا تقل لأحد أني قلت له،إنه أبلغ من في الكون"كانت تنظر لي وربما هي التي قالت له ينبهني وأردف بالتأكيد"أنا صديق عشتار".

وصلنا لمكان عالٍ وكنت أنا أنظر له بانبهار ،إنه مكان هلامي ،يتجدد باستمرار حتى لا تعرف كيف تقف عليه،يشبه الفن التركيبي وهناك شبح ضخم واقف ينظر لنا يقول

"ها جئت يا ابن الأرض

أنا جد الوادي

أصب كليّ

وأسمع الخرير عى مهل

في بحار المجرد والموجود"

فقلت له "

أنا ابن الأرض الكريهة

مصروعة الأشياء جميعها في مخيلتي

عتيق كعهود الألم على الكائنات"

"أعلم أنك أتيت لأرضي خلسة

ضد قوانين تكويننا

لخوّانة تائقة للمعرفة

إنها مصدر كل معصية

فقلت"إنها خانت ليس عن كفر

بل عن رغبة في العرفان للمحرَم

فارحم نزوعها"

ونادى عليها غاضبا "عشتار، اخرجوها من سجنها وتعالي لعرشي ،قد خذلتِ أرضكِ لصالح أرضه ونحن لنا أسرارا لا يقوى على حملها ولا على معرفتها فما قولكِ يا بغية؟"

كانت تمشي ببطء ،حانية رأسها وشعرها الناعم يتطاير حولها من جلال عرشه وأنا أنظر لها وأنظر له كأنه حلم مهرجاني في أحد كتب الميثولوجيا القديمة الذابلة.

فقالت عشتار"إنه غاوي ،وجوده شاعريا وأظن أنه سيريد الانضمام لأرضنا ويترك أرضه"

فقال"ليس من قوانينا ذلك،سيعود لأرضه ،أرضنا لا تريده"

فقلت موجهها حديثي إليها "

يُشتَهى الوجود بجوارِكِ كزهرة متزهزهة في خراب كامل

تُشتهى ضحكتكِ وضيق عينيكِ في الابتسامه

والمرح الشفاف ومداعبة المعاني بالنكات.

تُشتهى رغباتكِ الطفولية اللطيفة في تغيير العالم

وتفسيراتكِ لما يدور حول فلككِ الصامت.

معبئة عيونكِ بانسحار يحرض على تكوين ضغائن ضد المسافات الوحشية ولدغ القدر بالقصائد

معبئة بمدن متخيلة متشابكة فيها الاستعارات التي لا تقتصد للتعبير.

وانا المحروق خلف حجبي برائحتكِ ونغمة ضحكتكِ.

رأسي مليء بتفاصيلكِ

وبتجسيدات غنجكِ على الحان بليغ.

اطمئن في حضوركِ

كاطمئناني وسط الزهور في بستان عتيق

والضم جدوى العالم بالبيانولا وصوت فيروز الصغيرة.

اخترت الوحدة رغمي توقي لبعض عوالم الخارج وما فيها من موسيقى قلبية تكتب النعيم

فسلام لمن أطعم للغريب الدفء بالتجلي وإشارات قلبه

فنظر لي الجد الأكبر للوداي بعد دمدمة صوت الأشباح تحت مذبحه"إنه يقول شعرا حلوا""يجب أن نضمه لأرضنا"واستعاد نظامهم بصوته المجلجل الخشن "إنا نحيا على الشِعر ،ستبقى معنا إلى حين أن أرى فيك أمرا"

خرجوني من سجني باسمين واقتربت منيّ الأشباح ،عيونها مفتوحة لتبيني ،مشروحة نفوسهم لي ،والجد الأكبر المحوط بالمرايا عاد لكهفه الذي لا يشاركه فيه أحدا.جاءت عشتار وأخذتني إلى حيث سنسكن أنا وهي وقالت لي :لا تقلق منيّ،أنا صديقتك هنا

فقلت:لا أعرف من أين خرج الشِعر ذلك؟

فقالت:إن لم تقله،كنت نفيت أو قُتلت أنا وأنت

فقلت:هناك كلام كثير في رأسي لأكتبه،لا أعلم ما هذه الشهية الكبيرة للكتابة

فقالت:لك جدران بيتي جميعها ،اكتب عليها

فمسكت طبشورا وبدأت أكتب"

في الأرض الغريبة اواري ذاتي عن العيون

أفتش روح الأمكنة وروح المشهد الساكن

وأكتب تجاويفي وبراعمها .

احشو الرحلة بين المحطات بذرية التناقضات في رأسي

وأحكم على ذاتي بالجنون في النهاية المفتوحة.

أصهر قدماي وأنا أمشي اتفاهم مع حدود العقل

وانسى كتلتي في أتون المرئيات الرخوة للعماء والعيان."

كانوا يعيشون بغرابة ،لا يأكلون ،لا يشربون ،ليست لديهم أجساد من الأصل لتتغذى ،لكنها أتت وقالت لي :لا تستغرب هذه حياتنا،أعلم أن لديك أسئلة كثيرة تريد معرفة إجابتها لكن صبرا،سأخبرك بالقليل وستفهم القليل من وجودك معنا.

في هذه الأرض الغريبة أشعر بطاقة عظيمة ،ربما هي منه وربما هي من تغيير كل البيئة المحيطة فتتغير معها بيئتي الداخلية.كان لدي توق أن أعرف وأعرف وأفترس بواطن هذه الكائنات وأمد خيوطي في كل ما يخفونه ويخبئونه.ولم أكن أتذكر عالمي الأرضي ولا ما يحدث فيه ولا أشيائي البسيطة.

رغم نظامهم المتقدم في المراقبة حيث كان البحث عن الأشخاص يتم بشكل آلي.مقسمين السجون لوحدات ،كانت أكبر هذه الوحدات للشعراء وبعدهم الوحيدين لأنهم أكثر الخيالين وأعمقهم.وبعد ذلك للمتصوفة من شتى الأديان والمؤمنين بجدية والعارفين بخلجات أديانهم والعصاة أيضا.ظللت أجول إلى أن وجدت نيران في رأس أحدهم وجحيما مستعرا ،وآخر كانت فيه حضرات يطوف فيها كل شيء وآخر فيه نساء عارية وكانت هذه أكبر تيمة موجودة للسجون.وذهبت إلى سجني أنظر له وأدمع من كم المكبوت وكم الذي خلقت في خيالي ،كان عليها حارس منهم فقت له"بالتأكيد تعرف كل ما يدور برأسي"فقال لي "نعم ،إنك موسوعة متخيَّلات"

الاستيقاظ الأول

استيقظت حزينا عدائيا جدا وأفكر ويغلب عليّ قتل أحدهم ولم أكن أفكر إلا في قتل علي ربما لمساعدته إياي على جنوني من غير قصد.كنت أعرف أن نهاية التخييل والوحدة الجنون،كنت أعلم ذلك منذ طفولتي وكنت أحلم دوما بهذا الأمر،رغم تعاويذ

أمي التي قرأتها على رأسي ورغم عقليتي الشديدة ،رغم ةضم الطفولة لي في أوقات كثيرة.

وتذكرت وأنا متعب جدا وغير قادر على أن أقف الصوفية الدراويش.تذكرت وضحكت لأني لم أستطع أن أثق،أين ذهب القدرة البسيطة؟ولكني عاندت جسدي ووقفت وذهبت لأتمايل معهم.كانوا يرقصون ويهللون.كنت غائبا تمام ولكني دخلت في الحضرة بوجهي الجوكري والمكياج المشوه بالدمع.قلبي كان ينبض بتسارع شديد وعيني كانت ترى النور بمهابة ومهارة وغير خوف.

تمنيت أن أرحل في هذه اللحظات ،أن أتمسك بعنقود ضوء يسري بي،الدفوف كانت جهورة بالألم.كنت أشعر بألم شديد ولم أكن قادرا على أن أردد أو أزامن آهاتهم.

أطوف بلا توقف حتى ارتمى الجميع ولكني لم أرتمي بعد،كنت أشد جسدي لكي يأخذني النور،الرقص نوع من الخمر الجامع للنشوات جميعها للفنون.

وصحت

رحماك يا إلهي

للعاصي الحزين

للتائه الجنين

رحماك على عجزي

رحماك على إثمي

رحماك على وحدتي.

قلبي شبع شوكا

فروضه لتركي

وعقلي فرض كفري

فصوفه لصلبي.

خذلت جمالك بما تصورت عيني

وخنت نورك بثكل مشكاتي

رحب حزني ببعادك وتيهي

تضخم العدم في حيثي

ودمي وجودي في خوفي

فرحماك يا إلهي.

الغيبة الثانية للانفصام ، البحث عن عبقر

في الأرض تبحث عنيّ سلمى، أخذت وهي تلم أشيائها قبل طردي لها مذكرتي التي كتبت فيها كل شيء حدث وحواراتي مع عشتار وقرأتها بالكامل.لم يكن أحد يعلم عن أرض عبقر تلك ولم يذهب إليها أحدا وعاد ثانية للأرض.ولكن ماذا ستفعل بها لا أعلم.إنها إثمي الوحيد في هذا العالم بمعرفتها.رأيت ذلك في سجنها في أرض عبقر،تريد أن تنشر المذكرات وتتخيل ظهورها في الصحف واهتمام الناس بها.إنها الأنا التي تنتفخ عند الشهرة والاهتمام.بالتأكيد سيبلغ الحارس الجد الأكبر وستحدث مشكلة كبيرة بعد ذلك.كنت واقفا مرتبكا حتى ظهر لي أحدهم،إنه ممن كانوا في الأرض وجائوا لعبقر،كان جسده اختلاط بين الطيف واللحم والعظم

قلت له:كيف جئت إلى هنا؟إنك أرضي صحيح؟

فقال :نعم ،جئت كما جئت أنت،أحدس هذه المرة أنهم سيستطيعون الوصول لأرض عبقر ،المرة الفائتة اعتقدوا موتي رغم معرفة بعض الناس واتهامي بالجنون قبل الوصول إلى هنا،وخرج ذلك في أحد الصحف كنكات، وأنت تعلم أن البشر أينما حلوا حل الخراب،وسيعيدك الجد للأرض ثانية

فقلت بعصبية:لا أريد العودة

فقال:ليس الأمر بيدك،أنت لست مليك العوالم التي تراها،إن شاء الجد لن تستطيع ردعه ،كما أنه مشغول في حرب عالمه
فقلت:حرب عالمه؟

فقال:نعم بعض المنشقين يريدون الخروج من الأرض والعودة للحياة الإنسانية ،هم لا يشعرون بطعم الوجود إلا كخدم له لذلك سيستعينوا بالبشر لتدمير هذا العالم وإفنائه.ألم تقل لك عشتار أن بعض من عالمى هبط إلى الأرض؟إنه لا يثق بالأرضيين إطلاقا ،عيدهم هو الأفول لكل شيء.

المنشقين من اهل هذه الأرض الصلصالية جسدها ،الشبحية تكوينها بتشابك شديد.رجال ونساء ابوا الاستمرار في الخدمة لصالح تلك الأرض. أبوا القوانين الازلية عليهم وحدثت جلبة كبيرة بين كبيرهم كوزموس والجد فقال له:انه كره جنسه وتكوينه وأرضه وابده وأنه استطلع السعادة فيهم من مراقبتهم .قال له الكثير وأنا حفظته :

أكره الأرباب لأنهم لم يعطوني حقا في الانوجاد والانعدام

أكره تلصصهم على مكبوتي ودلقه في قيامة ما

أكره أخلاقهم البرية ضد الرافضين والخونة مثلي

أكره أبدهم المزخرَف بحيوانية ليس بالمعاني

وأحب فيهم صوفيتهم فقط ومراياهم الكثيرة فينا.

أكره كلامهم الفارغ عن جدواهم وجدوانا

أكره هذه النرجسية وزهرها من العبثيات

أكره تراكيب المصير.

ولم يرد عليه الجد سوى بنفيه فالجد يعتقد أنه من المستحيل أن يفكر بهذه الطريقة وحده ولكنهم لا يغويهم او يوسوس لهم الشياطين.

كنت محتارا ولكني ليس لدي معلومات كافية عن كل شيء.أين أرض عبقر تلك وهل هي في الجغرافيا؟ولكني لا أعلم امتداداتها ولا أين تقع بالتحديد.كان حلما مجهولا النهاية ولكني أستشعر سوداوية منه.إن استولى البشر على هذه الأرض سيدمروا كل شيء.فمعنى أن يعرفوا مكبوت الآخرين هو ضياع تلك المساحة من التلغيز والخصوصية،أن يحيوا في رؤوس بعضهم البعض وأن يعرفوا تاريخ كل شيء.الأمر دمار لهم ودمار لأرض عبقر ولكن ما جدوى الأرضين؟أسئلة وأسئلة لا تنتهي في رأسي وجداول أعاجيب مستمرة في الاستيضاح لما حييت فيها.الأمر يشبه نهاية الحكاية لكل شيء!

عليّ أن أفعل كل ما بوسعي لكي لا يأتون إلى هنا ولكن كيف أوقف سلمى عن القدوم وهي معها مذكرات وأدلة الطريق.إن خطأ عشتار أو وجدها الخفي لي سيدمر أرضهم.كان الجد على حق عندما قال أنني يجب أن أعود ولكني عرفت سرهم وعرفت تكوينهم وعرفت الدرب الذي يجعلني أصل إليها مرارا.كما ان هؤلاء المنشقين دمروا الكثير من محتويات الأرض فغاب علمهم عن بعض الناس التي تريد الاستيلاء على أرضهم.

كائنات العالم

العالم مكون من أربعة كائنات أساسية هم الإنس والجن والشياطين وأهل عبقر.الإنس لا يوجد لديهم شخصية رئيسية حية ،إنهم كتلة من الخير والشر أحيانا تتعادل واحيانا لا.الجن هم أشباح يحيون الأرض والكون وأحيانا يختلطوا بالإنس ولهم حياة كاملة.والشياطين جدهم إبليس المطرود المحزون من الواحد لعشقه الغريب.وأهل عبقر وجدهم.

على الجد أن يتحالف معهم لمقاومة الإنس للدفاع عن ارضه قبل أن يتحالفوا هم معه.سيذهب الجد في رحلة إلى عروش كل من كبارهم وسيعود إلى أهل أرضه.ولكن يجب عليه أن يجتمع بهم أولا.جُمِع كل الأشباح أمام عرش الجد ،كل أهل عبقر بما فيهم السجانين الأبديين.وقال الجد "إن أرضنا تتعرض لخطر من الإنس،يريد أهل هذا الرجل الاستيلاء والقدوم إلى ارضنا وعليّ أن أتحالف مع الشياطين والجن لمقاومتهم "

حدثت جلبة كبيرة وهرج مستتر بالغضب وخوف مبطن وافتراش للوجوه بالحدة.فقال ثانية"اهدءوا ،إن هذا طبيعي كون الإنس ملعونين بالمعرفة" فرددت عليه"إننا ملعونين بالمعرفة وأنا اعترف بذلك وهذا ما اسقطنا إلى الأرض،نطاردها وتطاردنا ،نبددها وتبددنا ومن خوضها وخضمها نحيا ،لكن لم لا تجرب أن تحدث أهل أرضي أو أن أحدثهم أنا؟"

فقال:إن أهل أرضك غير متفقين على أي شيء ،إنهم مشتتين ،تائهين،لا يعرفون ماذا يريدوا بسبب خطيئتهم الأولى ،إن الخطيئة تتغلغل في تكوينهم وتتجلى في صور كثيرة ولا يوجد لديكم أكبر ليتم التحدث إليه،لديكم قوى كثيرة متشابهة القدرة

فقلت له:وماذا بعد؟ هل ستحارب أهلي؟

فقال:إن أردت عد إلى أرضك ولكن لن تعود قبل أن ندمرك،أنت تريد حماية أرضك وأنا عليّ أن احمي أرضي.

فقلت:

أنا متعب من أرضي.

من نظرتهم لي ومن متن أكواني اللامع.

من تخاريفي التي أفقدتني الشغف في العادي.

متعب من الكهف الأسطوري الذي لا يخرج منه قلبي

ومن فداحة الصمت الجديد الذي يغزوني في مواجهة كل شيء.

من متجر الأفكار الميتافيزقية في المخيلة وأيهما أصدِق وأيهما أكذِب؟

متعب من فشلي الواقعي والكآبة الرخيصة ضده.

من اللغة التي تعتصر الشموس والأفول

ويغلب الأفول في النهاية.

من النهايات المفتوحة دوما والقصص غير المكتملة مع الآخر.

من غموس الغيب بالمأساة

وخصائص المتناهي واللامتناهي.

متعب لدرجة غبش البصيرة لكل شيء

وعدم قوام عين قلبي لرؤية غير العدم..

متعب من استحلال الحدود جميعها.

ماذا أفعل ايها الجد المرآتي؟

أهل وجدي ضد أهل أرضي.

فقال:ابقى هنا لحين أعود من رحلتي،سأذهب إلى عروشهم جميعا.لقد انشق جزء من أرضي قبل أن تأتي عشتار بك،ليست هي السبب،إنهم ملوا الخلود وتكويننا.أين الزمّار؟

لنوثق عذابنا بالموسيقى.

خرج الزمّار من وسطهم ينفخ رجيم

الرحلة إلى الشياطين

ارتحل الجد في الصباح الباكر بعد وداعه من الجميع إلى هذه الأرض المظلمة ،أرض الشياطين،التي لم يذهب لها سابقا ،لكنه يعرف الدرب إليها.لا يخاف الجد من أي شيء فقد كان محرم على كبار تلك العوالم الموت، فقط يستطيعوا أن ينتحروا. إنه يبحث عن إبليس الميثولوجي ،إبليس الأول ليحدثه إن كان سيتعاون معه فهو أكثر من يكره تلك الأرض وأبنائها.دخل الأرض الحمراء المليئة بالكريه بأنواعه.إنه يتقزز من تلك الفظائع الموجودة والدم الكثير والخراب ولكنها أرض دائرة فيها الموسيقى دوما.مشت ورائه الشياطين وتجلى له إبليس أمامه.إبليس شخصية بوهيمية مجنونه بقرونه الطويلة اللولبية،كان يردد بلحن ما، يردد ويتحرك كانها تسبيحاته

وقال: شممتك منذ دخلت أرضي.أنا منبوذ ليس من الإنس لذلك أشعر بوجود من ليس من جنسي.

كان الجد أول مرة يراه،يعتقد أن له هيبة غاضب.وعزى ذلك أننا في اخر الزمان،أنه وقت اندثار كل شيء ،وقت فراغ العالم للسكون. الشيطان مخلوق غريب بالنسبة له.عيناه فلك أحمر

وخلفهما ألم دفين لا ينوخ أبدا. كان يشعر بأنه يتآكل.لغته ثقيلة ولقائه قادم لامحالة ولا شيء يواريه من قدره.حولهم الشياطين مهادنة أذنهم للسمع بكل الطرق كأنهم يحرسون غضبهم من الزوال ويريدون أي شيء يثيرهم له.ما في أمعاء عقلك أيها الشيطان؟ إنك أخبث من خلق وأكثف غموضا شعوريا.لغته كلها شاعرية وموحية بشكل بالغ. من يطغى شره على خيره يكن أقرب إلى الاستمتاع بالعالم ولكنه لا يحسه كذلك.إن شره يؤلمه ولا يستطيع التخلص منه. عصى الشيطان الله لكي لا يخون وجده،عصاه غلبة على قلبه،عصاه ليحمي جماله من الإنسان لكي لا يكشف ألمه وسره.

كان يردد بشدة وبلا توقف

"تنادي

والمنَادَى الهاجر يستكره زلفاك

ويستحب غيرك

فأناى لعل الروح تطيب بالبعاد.

نذرت ذاتي له فنذر كله لغيري.

خذلك من كوّنك ومن دمّرك

من رآك ومن حجبك

خذلك من خلقك ومن خلقت.

احزم جمعك لوحدته

واغفر له احتجابه

وإعلانه لمفارقة حرمك

هو معشوقك المكبوت فيك

ومدرَكك الأنقى.

لتفنى العوالم وتُستَحدَث

فوجودي سيظل عبث."

كانت الارض مشتعلة بالاخبار في كل الصحف عن هذه الارض الخيالية التى يوجد بها جميع المكبوت،هناك من يكذب وهناك من يصدِق وهناك من يعدها ميتافيزقيا علمية لكاتب.هناك رجال اعمال كبار يريدون السيطرة على هذه الارض وقد استخدموا بعض العلماء لذلك.وتعاونوا مع المنشقين من ارض عبقر بعد تدميرهم لجزء كبير منها

قال إبليس :ماذا اتى بك الى هنا؟

قلت: جئت طالبا مساعدة

قال : هل تطلب مساعدة من شيطان ؟

فقلت: انهم الارض واهلها وانت تكرههم ،هم من أهبطوك يا طريد

تبشر وجهه وقال : قل الخدمة ما هي؟

فقلت : انهم يريدون السيطرة على ارضي واريد مساعدتك في حربي معهم .انا اخطط ولكني لم اكمل خططي بعد

فقال : انا معك حتى نعذبهم اكثر هؤلاء البلهاء الفانون،لأطلق الخريف في جنس الكون كله،أنت تظن أني بلا شرف،أرى هذا الخوف في عينيك بعيدا ،لكن لا تقلق

فقال الجد:أعترف أني خائف من نواياك ،تاريخك أسود مع الوعود والعهود ولكني لم أتِ للتحدث في ذلك،هذا شأنك مع الواحد

كان الجد خائف على أرضه ولم يكن سيتحالف مع الشياطين أبدا.لم يكن أن يتخيل ذلك يوما لكن أرضه تتعرض للتهديد بالرواح والفناء وهو يجب أن يدافع عنهم.كان فقط يريد أن يحميها من هؤلاء المنشقين ومن هؤلاء الأرضيين الملاعين الذين لا يتوقف توقهم للمعرفة ولا شهوتهم للدمار. كان يعلم انه لن يتحالف مع أهل الارض أبدا.لن يوافق إلا على دمارهم .لكن الجد لم يكن يريد تدمير أهل الارض جميعهم بل تدمير هؤلاء الذين يريدون القدوم فقط.ولكن الشيطان يريد تدميرهم جميعا .إنه يتوق لذلك.الجد يريده أن يساعده بالوسوسة والغواية وبجبروت خوفهم منه فإن تدمرت الأرض كلها لا قيمة لأرضه.ماذا ستعكس ؟

الجد كان قلقا من تحالفه مع الشيطان فهو لا يثق به مطلقا ولا يثق في نواياه ولا في مكبوته ولا يعرف مدى فعله ماذا سيفعل؟ فأفعاله غير متوقعة ونفسيته ملغزة ومعقدة.

كان الهدوء يعم الأرض جميعها ولا يعلم ماذا حدث حتى تحدث هذه الجلبة في كل مكان.العوالم مرتبطة ببعضها بحبكة غريبة وأي قلق في أحدهم يؤثر على العالم الآخر.نطفة الثورة حالكة المصير.

وهو يمشي كان يردد الشيطان" أنا أكثر من فنى بك عندما رفضت أن أشرك بالسجود ، كنت أخفى الرغبة فى قتل آدم فى لحظتها واستغربت من الرغبة ، لم أكن ريدك أن تخلقه حتى ولا أن تتحدث معه ، أنت لي يا الله فقط ، إنه حب الفانى فى المفنى ، آه لو تفهم يا الله ذلك .

كان لدي يقين من أن الافتراق عنك هو اليقين العشقي،كنت أريد أن أختبر ذتي من أني لم أعبد سُدى،وأن ما وجدته من ظلمة بداخلي حققت فيّ حقيقة الابتعاد عن النور

"بحق صلاتى إليك منذ خلقتني

افني آدم وذريته

بحق نيران غضبي الصائبة الأسباب والعلل

لانى سابطل كونهم

واعطش فرجهم

وادنس باطنهم

ولن اعدل فى شري عليهم

انا الفاجر الكلي وفى فجري قوتي

اتركهم بدون عونك

وستجد أنهم سيلعنون وجهك

انا وذريتي عبيدك

مخيلاتهم بيوت دعارة

لم لا تعدل بين شري وشرهم

بين دنسي ودنسهم

وترفعهم عني

يا ولي شري

الاستيقاظ الثاني

استيقظت وأنا في مكان غريب عليّ،مكان ضد الطمأنينة وضد الدفء.إنها مستشفى غليظة الروح ومقرفة البياض،لم يكن حولي سوى أحد الصوفية ولم أكن أنظر إلا في عينه وهو يقول

:ستكون بخير يا صديقي،لا تقلق،أنت مريد كبير

فأشحت نظري عنه وغبت في تذكر أشياء ليس لها علاقة ببعضها.ولكني كانت لدي إرادة شديدة في القتل وكنت دوما أُروِحها بالكتابة فتكلمت مع هذا الصوفي بالقصائد التي أريد\ كتابتها بصوت متهدج حزين

" أكدس حزن الحضارات الشرقية في قلبي

وحداثة الفوضى في عقلي

وبينهما لغتي تتراوح.

على كفي دم المعنى

وأدوس على صلصال الدلالة.

الشرق ملعون بقلب المتصوف

بحطب صليبه الذي علقه عليه

والورد الحزين الذي نبت من دمه.

وأنا المولود في القرن العشرين

حملت هذه الحديقة الخربة

وألم الفلسفات الحديثة والعدم.

حتى تاهت دلالة هويتي لدي

أنا غامض متنوع الدلالات

لا يحفزه ولا يحفظه الظهور

ولا ينقضه الظل.

ماذا تحمل في روحك

لكي تريد تخريب كل شيء فيك وفي العالم ؟

أهو ديناميت الألم والعذاب العشوائي

من لعبة البيولوجيا الجبرية والسيموطيقيا ؟

في هذه العتمة الرهيبة

التي تأكل الثورة من قلبي

أحتج بالصمت كخطاب ثوري ضد كل شيء،

وأنا أفكر في الانتحار دوما

أرى أرض برتقال صفراء مغلوبة من صمت عميق

أسمع صوتا أوبرائيا

وتغلبني الغوامض الكثيرة في العالم

تشجعني على البقاء

رغم أن حشيشة تكويني خفقة أخيرة تطردني من العالم.

الانتحار اللذة الديونيسوسية للشاعر.

أبعدت عيني عن عينه ونظرت للسقف المزعج الذي يذكرني بجرش الملح تحت ضروسي وقلت بصوت خفيض

ماذا تحمل في روحك

لكي تريد تخريب كل شيء فيك وفي العالم ؟

أهو ديناميت الألم والعذاب العشوائي

من لعبة البيولوجيا الجبرية والسيموطيقيا ؟

في هذه العتمة الرهيبة

التي تأكل الثورة من قلبي

أحتج بالصمت كخطاب ثوري ضد كل شيء،

وأنا أفكر في الانتحار دوما

أرى أرض برتقال صفراء مغلوبة من صمت عميق

أسمع صوتا أوبرائيا

وتغلبني الغوامض الكثيرة في العالم

تشجعني على البقاء

رغم أن حشيشة تكويني خفقة أخيرة تطردني من العالم.

الانتحار اللذة الديونيسوسية للشاعر.

لم يرمي لنا نيتشه شاكوشا

رمى لنا قصيدة وغامض.

هدت العالم قصائد غير مكتوبة

فالبعد الإجرامي عميق في الشعر

بايحاء العدم كمدرَك دنس.

كان يكثر الشعر فيّ كلما ازداد النزوع للجريمة،كأنه يحاول ملاشتها بعيدا عني ولكن ربما هي هويتي الدفينة الأصلية.

الغيبة الثالثة

الرحلة إلى الجن

خرج الجد من أرض الشياطين وكان عليه أن يذهب إلى ارض الجن ولكنها ارض هلامية ،لا أحد يعرف لها مكان ثابت.سيخوض بحارا من ماء أسود وجبالا من تراب أسود كذلك.أماكن خلابة مصقولة من جرانيت شفاف.شعر الجد بغربة وفتنة من كم الانعكاسات الموجودة.هو يريد العثور على جني واحد وسيوصله بعد ذلك إلى كبيرهم.تذكر دندندنة إبليس بهذا السطر وأخذ يفكر فيه

"لم تخذل شري في محاضر عبادتك؟

وترطب عيني بعمائها في شهودك؟"

وجلس هو أيضا يدندن

" أين عوالمك يا جني

الروح تغربت عن جوهرها بتيه الإرادة"

فخرج له جني من جرانيت مرآتي يمسك كتابا

وقال له:ماذا تفعل هنا أيها الجد الكبير

فقال الجد :جئت لرؤية كبيركم

فقال:هو في خلوة لكنه سيخرج لك إن فكرت فيه،فنحن نحضر لمن يفكر فينا ومن يصدق وجودنا فيه.كنت أقرأ لشعراء عبقر.القصائد أيها الجد هي الجنيات الباقية بعد فناء كل شيء!

لازال الدرب طويلا يقول الجد في نفسه والأبواب مغلقة.لازال في أجواف الكون صدف بلا حد وأقدار غريبة.الأين لا ينتهي من

الخبل الجمالي كلما سار،أي فساد في هذه الكائنات رغم كل هذا الجمال!

سمع الجد صوت ملحّن لوحش غريب بلوامس طويلة وجسد ناري يقول له :الفساد في العلة والنفس الشرية تريد الحصول على جماليتها الأخيرة.الكون سيرك للهباء.أنت فقط أيها الجد تؤمن بالنظام من لدن خوفك من الفوضى.لن تدرك جمالية الفوضى إلا عندما تكتمل كمتلاشي.

فقال الجد رغم عمق حديثه:هل الكون كله بكائناته يتألم؟لا أكاد أجد كبيرا حتى وجدته محزونا وله كفاية من الكآبة

فقال كبير الجن:أتبعك من زمن وأعرف لم أتيت،أنا معك في ما تريد،إن البشر سيظلوا عاصين دوما ولكن فيهم أفول كل شيء كما كان فيهم انبثاق كل شيء.

ما بعد التحالف

كنت أنا في أرض عبقر أقترب أكثر من شعبها،أكون صداقات وأتعرف عليهم جميعا،نغني ونقول الشعر ونضحك رغم الكآبة التي يواريها كل منا.عشتار كانت بجواري دوما وتوطدت علاقتنا كثيرا .لا أعلم الظروف السيئة تساعد على اقتراب الكائنات من بعضها ربما لشراكتهم نفس الألم والخوف.تعلمت فنون الحرب للأشباح وشاركتهم أساطيرهم .كنت أقف أنا وعشتار على عرش الجد خلسة ونمثل بمسرحية شعرنا فأقول لها شعر صوفي وقد أصبحت متمرسا فيه

: غيابك لوثني بتخييلك

ووحدتي لوثتني بحدوثك.

إما أن تتجلى وأفنى

أو تحتجب وأشقى.

لا أعرف لم يكن عليّ أن أحوي الشوك الصافي بشغف وبتعسف هكذا

لم يكن عليّ أن أخلطه بسيولة روحي خلف صدري لأنه خشّن الرؤية

كان عليّ أن أفككه وأكفنه في القصائد

أقدمه كعربون للرب على خرابي.

فتقول هي:

أحيا على الغوامض وحفر العرفان في الأرض الغريبة

أسلم ذاتي لها وأنسى أعماقي الوجودية الميتة.

فأقول:

أنتظر الغرزة التي ستُلضَم بها عوالمي كلها

وأنفذ في مكبوت المرآة التي رأت كل شيء

وما تكلمت بشيء.

فتقول:

كنت أنحت بسكون عوالمي

وكانت تطير في الفراغ أيضا بسكون.

فأقول:

أمتص الآيل والمخرَب والحزين من العالم

وأترك له خضاره لتستمتع به الحية أنواتهم.

لدي أيضا خوف على الأرض وشعبها من سطوة التحالفات تلك التي يعقدها الجد فإن كان الجد مسالما فالباقي من الشياطين والجن لا.أما الأرض فقد كانت تحيا غليانا وثورة وخصوصا مراكز الأمن العالمية التي تريد السيطرة على تلك الأرض المعلوماتية.فسيتغير شكل وجوهر الأرض تماما بالوصول لها.

عاد الجد محملا ببشائر بأن الجن والشياطين وافقوا على مساعدتهم في حربهم مع من يريد الاستيلاء على أرضهم وجمع شعبه وكنت أنا واقفا بجوار عشتار ،أخذ ينظر في العيون وخطب :

لقد وافق إبليس ووافق كبير الجن على مساعدتنا،ونحن الآن لسنا وحدنا.سنمحو من يقترب من هذه الأرض الآفلة الباردة المسِرة لكل شيء.أما خالد الأرضي فإن أراد الانضمام إلينا فأهلا وسهلا بك ونظر إليّ فقلت له :نعم أريد الانضمام إليكم فإن تم اكتشاف أرضكم سيتدمر كل شيء .فقال الجد:عليك أن تقسم بالمجازات ،بالاستعارات،بالشِعر على ذلك

فقلت:أقسم بالشِعر على عدم خيانة تلك الأرض ،أرض عبقر

نظرت لي عشتار سعيدة وعيناها مطاوِعة قلبها،محافظة على الأمل رغم غلبة اليأس والحرب القادمة.

الجد كان يعلم للدخول إلى أرضه يجب دخول هذا المكان في المخيلة ولن يستطيع الكثير الدخول له أو عن طريق المنشقين وهذا هو الطريق السهل.لذلك كان يلعن المنشقين لأنهم يسلمون الأرض طواعية لمن يريدوا.كان يجب قتلهم أو معرفة أين هم الآن في هذه الأرض لقد فعلوا ما فعلوا لكي يجبروا الجد على تحريرهم من الخلود فهو وحده يستطيع ذلك.

كان المنشقين يجوبون الأرض ويراقبوا من يستطيعوا الاتصال به والتعامل معه،مَن أكثر أحد سيهتم ومَن أكثر أحد لديه قوة للتخريب.لذلك كانوا يختارون مراكز الأمن في الدول جميعها،من يريدوا هذا الاكتشاف لكل ما يخبئونه،إن أرض عبقر كأنها أرض استخباراتية كاملة وشاملة.فمن سيسيطر عليها سيسيطر على الأرض كلها.هبط المنشقين إلى الغابات فهناك يحيون ويتنقلون من غابة لغابة.يقلقوا مضاجع رجال الأمن بعروضهم وآمالهم الكبرى وغوايتهم بما في أرض عبقر وكذلك بما يوجد في تكوينهم.

قال كبيرهم كوزموس لمن معه وكانوا خمسة :سنتحرر قريبا،أعدكم بذلك.فكرت في قتل الشيخ مرات ولكن لا أعرف سبيلا لقتله

فقال أحدهم:نحن خونة لأرضنا ولن يقبل عودتنا ،علينا أن نسرع في الاتفاقات،ولكن كيف سيحارب هؤلاء الأرضيين الفانون من لا يموت!

فقا كوزموس:لا نريدهم أن يقتلوا الجد.أنا أحتقرهم لكن سيدمروا الأرض جميعها وبذلك لن يجد الشيخ شيئا ليحميه ويحكمه.لا أثق في ضعف الجد وقلة حيله لكننا سنحاول ،أهم شيء أن نجمع أكبر قوة ممكنة لهزيمته،أن ندمر مصيرنا المحتوم.سنجمع المخابرات الأقوى ونبدأ بالصعود تدريجيا في ما دمرنا.سنجتمع معهم اليوم ،أريدكم أقوياء واثقين مما نريد.ولنرى ماذا سيفعلوا ،لقد وكلوا من كل جهاز أمن رجل.

لتنطفىء هذه الأرض الملعونة.

كان الجد يعد خطة ويريد أن يواجههم على الأرض قبل أن يصعدوا،ينتظر خبرا من الشياطين وخبرا من الجن للانضمام إليهم ولمعرفة أين يسكن المنشقين وماذا يفعلوا ؟

جاء إبليس نفسه إلى الأرض،الجميع خائف بما فيهم أنا،الجد على عرشه بين المرايا وإبليس أتي وحده بلا عضد وبلا حرس وبلا جمع.يمشي ببطء وينظر حوله ليرى هذه الأرض الملغَزة.حتى قفز على العرش أمام الجد،كان النور القمري على وجهه يظهر دمامته الجميلة كأنه ملتَهم من جنون.يحرك رأسه كثيرا وقال :إني لا أطمئن هنا ،هناك إنسي موجود

وقفز بسرعة أمامي أسفل مذبح الجد وقال لي:أنت إنسي فقفز الجد بجواري وقال له :إنه معنا.كنت أنظر في عينيه المليئة بالنيران البالغة السحر بحدتها وتشكيلها وهمت حتى نطقت بدون أن أدري:من صقلك صقلني فقال:نبذني لأجلك ،النار خلابة والطين رخيص وأخذ يردد :

تنادي

والمنَادَى الهاجر يستكره زلفاك

ويستحب غيرك

فأناى لعل الروح تطيب بالبعاد.

نذرت ذاتي له فنذر كله لغيري"

فقلت له:

من احتجب عنك ،احتجب عنيّ

إن كنت له عابدا،فأنا له والها

فقال:هل تحاججني بلغتي؟

فقلت:إن المكان له طاقة شعرية

فقال:أخلائي في الألم والإدراك الكليّ،الشعراء.

وصاح بعلو كبير :

اللغة تفاحة الأرض

من قطفها

يهبط إلى ملكوت الألم.

أنا قابع فيكم

في وسوستكم بالحرية والجنون

حيث لا حد

حيث لا بعد

حيث لا حيث.

وقفز إلى عرش الجد وقفز الجد كذلك وعاد التنظيم لأوله والاسترعاء لأوله.حينها أتى كبير الجن ومعه شعبه طائرين يستكشفون الأرض بأعينهم الحادة القوية،يدخلون لوامسهم في السجون ويمدونها لكل شيء.

فقال الشيطان:تحالفت مع أهل المس

فقال الجد:إنهم العِرق الرابع في الكون ولهم سيطرة علي أهل الأرض ومعرفة بهم

فقال الشيطان:يبدو أن لك إرادة في تدميرهم جديا

فقال كبير الجن:هم يستحقون ذلك وحرك لوامسه بالقرب من جسد الشيطان

فقال له الشيطان بتكثيف النار في عينه:هل تريد أن تُحرَق؟

قال الجد مقاطعا إياهم:ماذا لديكم من معلومات عن ما سيفعلوا؟

قال الشيطان:هناك الكثير من الأرضيين متحمسين لفكرة المنشقين،مراكز قوى وأجهزة أمن،إنهم يستعدون بكل ما لديهم من أسلحة،أنا مع أن نقاتلهم على أرضهم،إنهم أهل خراب وفضول

قال كبير الجن:والمنشقون عنك يسكنون في الغابات يتنقلون بينها وسيجتمعوا اليوم معهم،سيحددوا في اللقاء ميعاد خروجهم لأرضك.هؤلاء البشر يظنون أنهم قادرون على كل شيء كالآلهه

قال الجد:لم يكن سيفعلوا ذلك لولا من انشق عني ،لولا الخونة ،يريدون أن يتحرروا من الخلود والأرضيين يريدون التحرر من الزمن،من قدر تكوينهم

فقال الشيطان:إنهم يذكرونني بذاتي ولكني أعرف مآل الرافض،مآل من يحمل "لا " ضخمة

فقال كبير الجن:أعرف أنك "لا" غارقة في بحار من "نعم"

والقشة في أرجاء السؤال "أين"

فقال الشيطان:جيد أيها الجد أني بريء من المنشقين ،برىء من لصق تمردهم بي فكل رفض يؤوَل آله لي

فقال الجد:وسوس لهم حتى يغتروا وينقلب عليهم غرورهم ذلك،إنهم في الأرض الآن،هذا مكان سيطرتك وأنت يا كبير الجن ستهبط أنت وشعبك معي لنحيط بالمنشقين.

أعد الجد جيشه من شعبه وشعب الجن وشعب الشياطين وسينزل إلى الأرض في الفجر القادم.كنت مختلط المشاعر ،متزلزِل الكيان،لا أعرف ماذا سيحدث لكني أستشعر دمارا كبيرا لكل شيء،لكل الأعراق الكونية،ولا أعلم هل هذا الشعور مبني على فروض الهول برؤية شعب الشياطين وشعب الجن وشعب عبقر!إنهم كثر بدرجات متفاوتة من القدرة الكبيرة المتعددة فأهل عبقر يستطيعون الطير والتكون في الأماكن التي يريدون التكون

فيها بسرعة والشياطين كذلك أما الجن فإنهم يختفوا ولا يقتلهم سوى النار.

الأرض تستعد بالقنابل الذرية والنووية والغازات السامة.ولكنهم لم يتأهبوا كاملا بعد فهُم لا يعرفون أن الأمر اقترب وكان الجد يريد النزول إلى أرضهم لكي لا تتدمر أرضه فتكون حلبة الحرب أرضهم.

ترك الجد في أرضه بعض من المخلصين من شعبه إستأمنهم على عرشه والكهف الذي في عرشه ذاك به الامكانية على نقل أرض عبقر بادارة الدفة ولكن إن نقلها ستتيه إلى الأبد ولن يصل إليها أحدا،أخبر الجد من تركه وهو شيخ يثق فيه، منذ زمن كبير يعرفه، أنه إن لم يعد خلال ثلاثة أيام فليدرها،كان الأمر سرا بينهم فقط وهذا هو الوحيد الذي اطلع عليه.وقت الحروب يجازف الإنسان بأسراره كلها ،يجازف بما يخفيه.وقت خوفه من فقد كله وما هو عزيز عليه،وقت خوفه من فقد مُلكه.

جلس الشيطان على صخرة يدندن في عالمه المخَيَّل وجلس كبير الجن وجلس الجد ينظر إلى الأفق الساحر الأحمر المذوبة فيه الذكريات الأولى له.

لحظات صمت طويلة ،استغرق كل الحضور في التفكير في النهاية التي تومض من بعيد وعناصرها التي تكتمل حينا بعد حين.فحاول فك السكون ببعض القصائد لعشتار:

أرى وجهكِ يصلي دائما

للآلهة اليونانية القديمة

فليبارك قلبي باللعنة

للعيش في سماوات بعيدة

في حدود وأبعاد أخرى

مع الأشباح للأبد.

البعيد مخلوق شعري.

قلبي يشير إليكِ عندما يقرأ أول قصائد في العالم

عندما يكتب وعوده بالمغادرة

لذا اقتربي،ربما الظلام يختفي قليلاً.

كان الشيطان مرتبكا من وجودي،ينظر لي باختلاس وكنت أنا أيضا مرتبكا،من وجوده ومن تجليات الماوراء كله أمامي وتجليات المجهول.فقد شهدت ما لا يحتمل عقلي من الميثولوجية وما كان ينكره فهذا الكون لغز متشابك به ألغاز كثيرة.

سأعود إلى أرضي مع الشفق ولا أستطيع تحديد ما أشعر به تجاهها،هل هو حنين أم غربة؟

غفوت قليلا وحلمت أن الكون كله مدَمَر وفي تدميره يختفي العمران ويختفي هو أيضا كفقاعة حتى أكون وحدي في الفراغ،عشتار مذبوحة أمامي.كنت أنتفض في الحلم وكانت عشتار بجواري تمسك يدي.لم أنعم منذ جئت إلى هذه الأرض سوى بالكوابيس الفنية.

الشفق يقترب شيئا فشيئا والجميع يستعد للهبوط،قرر الشيخ أن نهبط إلى الغابات حيث لا أحد يكون موجودا بشكل كبير وحيث نجد المنشقين الخونة.سيهبط كبير الجن وشعبه أولا وإبليس والشياطين بعده وفي النهاية سيهبط الجد وشعبه وأنا.

كوزموس ومن معه كانوا مجتمعين مع مراكز الأمن،يصفوا لهم أرض عبقر وما فيها وماذا يمكن أن يستفيدوا ،قال لهم كوزموس:إنها أرض بها أسرار كل عالمكم

فقال رجل الأمن الأكبر:ما هي قدرة هذا الجد وما قدرة شعبكم للمحاربة؟

فقال كوزموس:نحن أشباح ولكننا نموت لذلك اجلبوا أكبر عدد من البشر المحاربين وأنتم لكم قدرة كبيرة علميا في الأسلحة

فقال رجل الأمن الأكبر:نحن لا نريد تدمير الأرض،فقط نريد الاستيلاء عليها

فقال كوزموس:أريدكم أن تسجنوا الجد فهو وحده من يستطيع تحويلي لبشر ،هذا هو مطلبي الوحيد وسأخذكم إلى أرض عبقر

فقال رجل الأمن الأكبر:ونحن متفقين على ذلك

هبطنا في الفجر للغابات،كان الجد مستغربا وظهر عليه ذلك من خيرات الأرض ولم البشر يريدون الاستيلاء على أرضه؟من هذا الطمع البشري في السيطرة على كل شيء وهتك الحجب التي ستفنيهم.

الشيطان كان يعسعس في الغابة وكبير الجن كذلك حتى قال كبير الجن:إنهم مجتمعين الآن ،المنشقون وكبار رجال الأمن،سيهجموا الليلة على أرضك أيها الجد

فقال الشيطان :هل نهجم على قواهم الآن وجيشهم؟

قال الجد: قريبا جدا سنهجم ولكن ليس قبل أن نتفاوض أولا ،إنهم لا يعرفون بعد ماذا يمكن أن أفعله في أرضهم؟ماذا يمكن أن أكشف من نواياهم لشعوبهم.

وأردف:ستذهب أنت يا إبليس إليهم في مكمنهم الذين يجتمعوا فيه لتقول لهم أن الجد يريد التفاوض معهم أولا

كان الشيطان يسر في نفسه الإرادة للتدمير ،لم يكن يريدهم أن يتفاوضوا ،أن يحاربوا بعضهم لكي يسقط أكبر عدد من الضحايا،حاول مقاومة شره ولكنه لم يستطع ذلك أبدا.كان مستغرِقا في التفكير والجد يقول له فقال له:سأذهب هم ولكني لا أتوقع أن يوافقوا فالبشر مغرورين بقدرتهم دوما .

وفي نفسه سيجعل شعبه يوسوس لهم بعدم القبول،أن يغريهم بضعف هذا الجد ففي كلا الأمرين والاحتمالين سيتدمر جزء كبير منهم وهو كان يريد حدوث الأمرين.

ذهب بسرعة إليهم بقدرته على الوصول لأي أين يريده ،وجدهم جالسين في أرض غريبة مليئة بالقنابل والدبابات والطائرات يتحاكون عن ماذا سيفعلوا في هذا الاكتشاف العظيم.حضر إليهم بخفوت وقال لهم :أنا إبليس

قاموا من أماكنهم جميعا مرتابين من شكله ومن هذا الكائن الأسطوري الذي لم يره أحدا مسبقا،من عيونه النارية وتهديده بوجوده المجرد

حتى قال إبليس:لا تخافوا لن أقتلكم ،جئت من طرف الجد للتفاوض ،إنه يعرض عليكم عرضا أن تسلموه المنشقين من أرضه وأن لا تفكروا في أرضه ثانية ،مقابل أن لا يدمركم

فقال كوزموس بعصبية :لن يفعلوا شيئا من هذا لأن الجد ضعيف

قال أحد هؤلاء من رجال كبار الأمن:لم أكن أعلم أن لك وظيفة أخرى كموسوس حقير وأيضا كساعي

فضحكوا جميعا،وابتسم الشيطان وقال له:سأقطع لك خصيتيك قريبا وأفقأ عينيك وألعنك

فقال له:أتمنى أن تفعل،ألا ترى كل هذه الجيوش وكل هذه الالات أمامك وخلفك وحولك،إن هذا حقنا أن نعرف كوننا

رحل الشيطان وحقده ينمو من الإنسان وعينه تنفث النيران في كل مكان فصرخ على شعبه أن يذهبوا إلى الغابات عند الجد.

كان الجد يتوقع ذلك،كان يتوقع غرورهم واستعلائهم وعدم تقديرهم لحجم قدرته ولكنه قد فعل كل ما عليه وليس عليه الآن سوى الهجوم بشعب الجن والشياطين وشعبه وليغرقوا في هاوية الكِبر.
بعد أن ينشر في كل البلاد الورق المعنِي بأسرار الحكام الذي عرفها من أرض عبقر ،ليطيح بالأرض أكثر ويغرقهم في الثورات الفوضوية التي ستؤازر هجومهم القوي.

جهز كل منهم شعبه وطاروا إلى هذا الجيش المزعوم المليء بالالات والقُوى التي لا تُقهَر،الجد بجسده الكبير الضخم والشيطان وكبير الجن بلوامسه والشعوب الغريبة التي لا يمكن مضاهاة قدرتها على الذعر.

عطل الالات الحربية شعب الجن واستولوا على القنابل الذرية والنووية وتجلى الجد أمام المنشقين وأكبر رجال الأمن مع إبليس وكبير الجن.لم تبدأ الحرب لكي تنتهي حتى حدث الجد المنشقين:
هل تظنوا أني واهن لأوقف هؤلاء الشراذم عن أرضي،لقد استهنتم بالخاطئين الواهنين عن مساعدة أنفسهم حتى

قال كوزموس:نحن نكره ما نحن عليه من تكوين ونكره مصيرنا الباهت،نريد أن نحيا

فقال أحد رجال الأمن:لم تحجب علينا ما نستحقه؟هذا تاريخنا كله

فقال الجد:لأنك إن علمتموه لتدمرتم جميعا ولأختفت هذه الأرض،القوانين تلك تحميكم من الزوال

فقال ثانية الرجل:ليس شأنك،أنت لست واصيا علينا ولا على معارفنا ولا إرادتنا!

فقال الجد:ستكون النهاية وستكون النهاية لكل الكائنات والتكوينات

نادى الجد على شعبه أن يسجنوا المنشقين فتقدموا لأخذهم سريعا وقال الجد:لنعود إلى أرضنا الآن،ليس لنا مكان على هذه الأرض

نظر حوله ولم يجد إبليس،لقد تسلل واختفى،كان الشيخ يحاول العودة لكن لم تكن أرض عبقر في الأفق فهو وحده الذي يستطيع رؤيتها من أي مكان.ظل يتفحص الأفق ولا يجدها.إن المدة التي قالها للشيخ الذي أمنه على عرشه لم تنقضي وهي الثلاثة أيام فبقائه وبقاء شعبه أكثر من ثلاثة أيام يحولهم إلى بشر.

صرخ الجد وقال:إنه إبليس غير الدفة،لقد تاهت أرض عبقر نهائيا.

الاستيقاظ الثالث

استيقظت وفككت القيود عني في المستشفى،كان الصوفي المجاور نائما وقد كنت واهنا جدا لكني شددت جسدي بأقصى طاقتي لأمشي،كان يجب أن أرى علي،كان يجب أن أقتله وأنتحر،رفضت الكتابة ورفضت مجاراة المجازات في رأسي ورفضت قول القصائد المعتملة باطنيا.كان كل تفكيري محصورا أين أجده؟لم ساعدني للحرية ولم يقيني من الجنون؟أعرف مكانا قد يكون فيه ربما في مكتبة والده القديمة التي كان يبع فيها الكتب المستعملة خارج القرية.

ذهبت خائرا،حتى وصلت للشارع الفارغ وفي نهايته المكتبة المهدمة،وجدت ضوءا أصفرا مقززا يشع منها ويظهر تراتب الكتب الفوضوي،كان جالسا يقرأ لنيتشه ووجه نيتشه بشاربه العظيم يظهر على غلاف الكتاب فقلت له:لم رحلت يا علي؟لم تركتني وحيدا أواجه العالم بعدما ساعدتني في الوحدة والجنون والتعرية؟أبسبب تلك الكتب جننت؟هاهاها

وضربت صفوف الكتب جميعها من حولي حتى تهاوت تحت قدمي ومشيت عليها،كنت أقترب منه بحنان وجريمة حتى خرج عن صمته ورعشة يديه وقال:اهدأ،لم وجهك هكذا؟

فقلت له:كان لدي عرض حقيقي أقوم به في العالم،العرض هو حقيقتي وحياتي،وما شأنك أنت أيها المرتب العاقل؟

فقال:لم تتحدث هكذا؟ماذا حدث لك؟يجب أن تذهب للطبيب النفسي

فقلت:ههه الطبيب النفسي،أنت لا تتحمل مسؤولية ما فعلت،تظن أن ما في الكتب تلك مجرد كلام فارغ ،نقرأه ونكتمه ولا يظهر علينا،أنا لست الجوكر الوحيد ،هناك ملايين من الجوكر لكنهم بلا ندوب،جوكر متخفي ،أنا فقط جوكر مجاهر

فقال:يبدو أنك جننت نهائيا ،عد إلى رقتك،أنت لست هكذا

لم يكمل جملته حتى قفزت عليه وبدأت في خنقه،كنت أشعر بروحه تتسرب منه،كنت منتشيا بلا حد،حتى خمد تماما وبعدها غرقت في الضحك وأشعلت المكتبة وأنا فيها والنار تعلو وأنا أترنم بصوتي الخشن

" أنا الجوكر العربي

الذي أَمرضه العالم بالحقيقة الصافية

فلم يبتذل وجوده

وثار في داخله وخارجه على القوافي.

اجرحوا حجابي

لأرى ذاتي في الكلمة والمرآة

أنا جوكر كل شارع

وألم كل حزين.